فلسَفَةُ التسبيح

أدب فلسفي ديني

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: فلسَفَةُ التسبيح
اســـم المـؤلف: محمود مُصطَفَى الأحول
التصنيف الأدبي: أدب فلسفي ديني

رقم الإيـــــداع: 16705 / 2024

الترقيـم الدولي: 5 - 994 - 998 - 977 – 978

التدقيـق اللغوي: أشرف عبد الحَكَم الأنصاري
تـصـميـم الغلاف: شيمـاء عشـري
التنسيق الداخلي: محمد وجـيـه
رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد
تليفون: 00201030502390
dewanalarabegypt@gmail.com

فلسَفَةُ التسبيح

أدب فلسفي ديني

محمود مُصطَفَى الأحول

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى كلِّ ناشدٍ.. بصيرةً يرى بها منْ جديد
أسراراً وأنوراً..
على طريق التسبيح
وإلى زوجتي التي اكتملَ بها ديني
وما دائرةُ تسبيحي للديَّانِ إلا كمالٌ أقلُّ اكتمالاً..
من كمالاتِ تسبيح ذرَّةٍ ترابيّةٍ وطأَتْهَا أقدامُ سيد المسبِّحين
"محمَّدٍ العدنانِ" – صلى اللهُ عليه وسلَّم –
وإلى أولادي براعمِ الغد الآتي " عبد الله وملكوت"
وإلى كل صديقٍ أحببته في الله
وأحببته أكثر عندما أخذَ بيدي وهو يقول:
"هيَّا بنا نؤمن ساعة".

محمود مُصطَفَى الأحول

****

(1)

لولا الرسالة..

ما كانَ هناكَ رسول

ولولاهُ سبحانه ما كانت الرسالةُ وما كانَ رسول.

ضيَّعوا الرسالةَ وعصَوا الرسول

فضاعَ منهمُ الطريق.

ولأنَّ النفسَ جُبِلت على السيرِ في طرِيق..

اتَّبعوا سُبَلَ الشيطان.

(2)

انظرْ كيفَ كانَ الحرفُ جسراً إلى اللفظ
وكيفَ كانَ اللفظُ جسراً إلى الفكرة
وكيفَ كانت الفكرةُ جسراً إلى المعنى
وكيفَ كانَ المعنى جسراً إلى الوصالِ بعدَ تسبيحِ المعرفة.
ولذا فإنكَ لا تستطيعُ النظرَ لتعرفَ، حتَّى تقرأَ أولاً...
ولنْ تستطيعَ أنْ تقرأَ حتى يكونَ هناك جبريل
ولن يكون هناك جبريل..
حتى تكونَ هناك سماء
ولن تكونَ سماءٌ، حتى تكونَ أرضٌ وأفلاك
ولن تكون أرضٌ حتى يكونَ مُلك
ولن تكون أفلاكٌ حتى يكونَ الملكوت
ولن يكون ملكوت..
حتى يكونَ العرش
ولن يكون العرشُ بغيرِ إلهٍ حق..
ليسَ بحاجةٍ لكونٍ أبدا
وإنما خلَقَ الكونَ لاستخلافِ منْ يعرف.

ولنْ ينال عبدٌ من المعرفةِ شيئاً..
إلا بقدرِ نصيبه من التسبيح - وإنْ لم تكن مِسْبَحَةٌ في يده -.
فإذا أردت أنْ تكونَ عبداً ربانياً، وذاكراً منْ لا تأخذه سنةٌ ولا نوم
فلا تغفل عن التسبيح، ولا تأخذك عنه سنةٌ ولا نوم؛ ...
فإنَّ تفكّرَ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سائرِ اليوم
وسوف يسبِّحُ معك كل ما لا تفقه من تسبيحه شيئاً..
بقدرِ ما شربته من المعرفة.
ولنْ تفقه تسبيح الكائنات....
حتى تكونَ داووديَّ الشكرِ
عيسويَّ السياحة
سُليمانيَّ العزم
إبراهيميَّ القنوت
محمديَّ الرأفةِ في عالَمِ الرحموت
موسويَّ المناجاة
نوحيَّ السفينة..
ورغم أنها نوحيّةُ الصناعة
إلا أنك قد شقَقْتَ في جوفِ الطوفانِ جسراً.. ما بين السفينةِ والجبل
جسراً من الرأفةِ المحمدية التي فازت بالشفاعة...
فتحوَّلَ الطوفانُ نفسُهُ إلى جسر

وكان الجسرُ رسولاً آخرَ للهدايةِ المشتعلةِ بالحُب
وساعتئذٍ ستفقهُ تسبيحَ الحصَى في يدِ خاتَمِ الأنبياء
وستفهم لُغة:
"اللّٰهُمَّ اهدِ قومِي فإنهم لا يعلمون".

(3)

ما هو الأساسُ الذي بغيره ينهدمُ البناء..

وبدونه لا تكونُ حضارة؟!

إنه عملُ الشكرِ الممزوجِ بالتسبيح

ذلك هو السِّر

وذلك هو الأساسُ الذي بغيره ينهدمُ البناء

فإذا عادت الأُمَّةُ إلى هذا الأساسِ عادت الحضارة

ومتى انتفضت..

{(فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)}.

(4)

قال الرسولُ الخاتَمُ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم):
"علماءُ أمتي كأنبياءِ بني إسرائيل"
والرسولُ نورٌ قد جاءنا من اللهِ "النور"
فاقتبسْ إنْ كنتَ مُقتبساً منْ هذا النورِ، وكُنْ نوراً.
جاءَ الخبرُ الإلهيُّ في التوراةِ والإنجيل، ومن قبلهما الزبور...
يحكي آياتٍ وأمراً ونهياً، وعبرةً وأمثالاً تدور
ومعجزاتٍ جرتْ معَ أشخاصِ منْ نزلت عليهمُ الأسفار..
واللبيبُ يقرأُ ما بين السطور.
ثم جاء الخبرُ الإلهيُّ في القرآن، فكانت المُعجزةُ هي نفسُها المسطور.
وعندما تكون الكلمةُ هي نفسُها المعجزة...
فليس الزمانُ بحاجةٍ إلى وجودِ الكليم، وليسَ بحاجةٍ إلى عَصَاه؛ ...
لأنَّ آخر الأمم ستصل بالعلمِ إلى ما لم يصل إليه الأقدمون، كما وصلَ نبيُّها إلى منزلةٍ لم ينلها نبيٌّ من قبلُ قطّ، ولن ينالها أبداً منْ جاءَ بعد.
"فإذا أردت أنْ يُكلِّمك اللهُ فاقرأ القرآن، وإذا أردت أنْ تُكلِّمَ اللهَ فادخل في الصلاة".
ولتنعكسْ أنوارُ وصالك هذا على حياتك أبداً..

كما يعكسُ القمرُ ضوءَ الشمس...
سلوكاً تنهَجُهُ
وبِرَّاً تُقدّمُه
وحرفةً تُتقنها
حبَّاً وفكراً وعملاً..
في مملكةِ الأرض
ثمَّ انصَهِرْ لتصبحَ شمساً تُمِدُّ الأقمارَ بما تعكسه للآخرين من النور..
وسبِّح "النور" الذي ليس كمثله نور...
هو الذي أرسلَ نوراً ليرسل نوراً بعد نورٍ.. بعد نور
ولتكن في النهايةِ نوراً من هذا النورِ المُستَمدِّ من مددٍ إلهيٍّ لا نهايةَ له من النور...
فتغدو الحقيقةُ كعبتكَ التي حولها تدور..
وتغدو الشريعةُ حَجَرَكَ الأسودَ الذي تلتزمْ.

(5)

مَلَأَ كفَّهُ منَ الأشياء
وقال: أريدُ أكثرَ وأكثر
ونسِيَ أنَّ الكثرةَ في البَرَكة
وإنْ قلَّ ما يمتلك
فلمّا وَعَى المسألَة..
تذكَّرَ ربَّ الأشياء
فرجعَ تائباً مُلبّياً:
"لبيك إنَّ المُلك لك"
"لبيكَ لا شريك لك"
ثُمَّ أدركَ أنَّ سُلَّمَ الوصول..
هو ألَّا يمتلك!

(6)

لمَّا ملَّ من الجِد..
طلبت نفسُهُ اللهو
فلمَّا ملَّ من اللهوِ عادَ إلى جدِّه من جديد
فلمَّا ملَّ التنقُّلَ بينهما..
سبَّحَ اللهَ القدير
فَأُسْرِيَ به إلى أرضِ الجهاد
ثمَّ ذاقَ حلاوةَ العُرُوج
فانتهَى الملل...
وأصبحتِ الجنَّةُ ملكاً له.

(7)

انتفخت أوداجُ الباطل وزمجر، بعد امتلاكه القليلَ من أدواتِ السيطرة.
ولكنَّ ثمَّةَ باطلاً آخر قد انتفخ وزمجر.
لمَّا همَّ الباطلُ الأولُ أنْ ينقضَّ بلا رحمةٍ على ضعيفٍ لا يملك شيئاً من أسلحةِ الدفاع عن الحقِّ المُهَدَّدِ بالاعتداءِ عليه...
اغتاظَ الباطلُ الثاني ونافَسَهُ فيه...
فاشتعلت الحربُ بين الباطِلَين.
أضعفت الحربُ كليهما زمناً
ونجا المُستضعفُ وقد أدرك أهمية:
{(وَأَعِدُّوا..)}
وما زال يملكُ وقتاً لصناعة انتصار.
فانظر إلى العبث كيف يعبثُ بالعبث؛ ...
ليمرَّ الجِدُّ بينهما سالماً، ...
ولله منَ الأعداءِ جُنود.

(8)

في كلِّ مرَّةٍ تفنى لحظةٌ جماليَّةٌ؛ لتتولَّدَ لحظةٌ جماليةٌ أُخرَى..
قد تكونُ أدنى منها في الجمالِ، وقد تكونُ الأعلى...
تغزِلُها غزْلاً..
تعلِّمُنا الغَزَل.
قالت لرجلها: أنتَ الأجملُ بين الرجال
وخاطتْ منْ حُكْمِها غَيْرَةً من فُولاذٍ أُنثويٍّ عسيرةَ التجاوزِ..
وقالت: منَ المُحَالِ تجَاوُزَ غَيْرَتِي
وقالَ لها: أنتِ الأجملُ دائماً
لا تتمتَّعُ امرأةٌ أبداً بجمالِكِ في هذا الوجود
وهو في ذلك كاذبٌ مُحتال...
إنْ كانَ مقصده مُجرَّدَ الغزل
وهو صادقٌ حقّاً...
إنْ كانَ عشقُه هو صاحبَ الغَزَل
لكنَّ الحقيقةَ التي يعلمها دائماً، وإنْ تغافلَ عنها فيما يدّعي أو غفلَ عنها في هواهُ الذي أسكرَ عينيه..
أنَّ هناكَ الأجملَ دائماً في كلِّ عصرٍ ومكان...

وأنَّ المحبوبةَ تحبُّ منْ عاشِقِها أنْ يُعطيَها هذا الحُكم:
بأنها الأجملُ بينَ النساء.
الجمالُ مسألةٌ نسبيَّة..
وللعينِ درجاتٌ من الرؤيةِ.. ما بينَ الصعودِ والهبوط..
تتقافزُ مثل الغِزلان.
حتى إذا ما مات الإنسانُ كاذباً كانَ أو عاشقاً..
ثمَّ بُعثَ منْ جديدٍ ولاقَى منْ أحياه، ...
وكُشِفَت الحُجْبُ عنِ الحضرةِ الإلهيةِ، ورأى جمالَ وجهِ منْ خلقَ الجمالَ سبحانه الرحمن...
زهدَ في كلِّ جمال
وأصبحَ كلُّ جمالٍ دونَ جمالِه وهماً
وأصبحت النسبيَّةُ وهماً كبيراً؛ ...
لأنها فانية.
ذلك لأنَّ كُلَّ جمالٍ فُتنَ به في دارِ الدنيا كانت تحكمُهُ النسبية.
ومنْ لم يرَ جمالاً أعلَى مما معه ظنَّ أنَّ ما معه لا يُعلى عليه في الجمال..
حتى إذا ما عاين ما هو أجمل..
نفَى عقلُه الجمالَ القديم
وأمَّنَ قلبُهُ على ما نفى.
وجمالُ الرحمنِ سوفَ يجعلُهُ يزهدُ في كلِّ نعيم..

وإنْ كانَ الفردوسَ منَ الجِنان.
فإنْ كانَ جمالُ الجنةِ بكلِّ درجاتها جمالاً نسبيّاً في تجدُّدِه الباقِي...
هذا الذي لم يخطر على قلبِ إنسان..
مُذهلاً للعقول
وكانَ الجمالُ في دارِ الدنيا من قبلُ فاتناً لها
فإنَّ جمالَ صاحبِ الدارين مُذهِبٌ لها...
في بقاءٍ بلا نسبة
وأزليّةٍ بلا ابتداء.
وعند المشاهدة...
ولا أجملَ من اللهِ تعالَى..
انتفَت المُقارَنَة
وتوقَّفَ التصوُّرُ أمام "المُصوِّر"
وعَلِمَ يقيناً أنَّهُ: ...
"لا إلٰه إلا الله"
في لا لحظةٍ، ولا حيثُ مكان
سبحان ربِّيَ الأعلَى
سبحانه سُبحَان..

(9)

قالوا: ذكرٌ وأُنثَى، ونَسُوا منْ صوَّرَ وخلَق.
وقالوا: ليلٌ ونهارٌ، ونسوا منْ جعلهما آيتين...
فأفلتوا من بين أياديهمُ الأعمار.
وقالوا: شرقٌ وغربٌ، ونسوا: {(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه)}
وقالوا: شيءٌ وزوجُه، ونسُوا منْ جعلَ منْ كل شيءٍ زوجين!
وقالوا: خيرٌ وشرٌّ، فغفلُوا لمَّا مسهم الخير.
ولمَّا مسهم الشر..
فمنهم من تذكّر ودعا في انتباه المُحتضَر.. وذاك ينسى سريعاً
ومنهم منْ تجمَّدَ قانطاً، وذاك هو الكفور
ومنهم من تابَ ورَجَع؛ ولعلَّ اللهَ يُنجِيه...
فهذا المُدَّكِر.. وهذا هو المطلوب
ولذا فالثوابُ الأكبرُ لمنْ عبده في الرخاء، ولجأ إليه في الوقتِ الذي غفلَ فيه الآخرون، واستيقظَ مُنتبهاً وسط النائمين.
وقال آخرون: طاعةٌ ومعصية، .... وهم يُصنفون البشر إلى طائعين ومذنبين، ... ونسُوا أنَّ من أسمائه: "الهادي" و"الغفور"..
وأنَّه يقبلُ في دولته من أخلصَ واتقى، وهو المعزُّ البصير.

فلا توزِّعوا على خلقِ اللهِ جنَّةً وناراً...

إنما التصنيفُ إذا أُغلِقَ بابُ التوبةِ، أو قامت القيامةُ ووقعَ الجزَاء أو كانَ بإعلامِ وحيٍّ من الرحمنِ، لنبيٍّ من أنبيائه، أو كرامةِ إلهامٍ لوليٍّ منْ أوليائه.

فلا تُصنفوا الناسَ بلا سُلطان...

فلَربَّ طاعةٍ أبعدَت ... ولرُبَّ معصيةٍ قرَّبت

وتلك هي الشعرةُ بين الكِبر والانكسار..

واللهُ عندَ قلوبِ المُنكسرين.

تحتاجُ المخلوقاتُ إلى الأضدادِ كي تعرفَه، وهو لا يحتاج إلى الأضداد.

وتحتاجُ الأضدادُ إليه كي تُسبحَه، وهو القدوسُ المُتعال.

ما زالَ كلُّ شيءٍ يُسبحه..

حتى سبَّحه التسبيح.

(10)

لماذا خلقَ اللهُ الإنسانَ واستخلفه في الأرض ...؟

بعد إفسادِ منْ استخلفهم فيها قبلَه..

من جنٍّ وحنٍّ وبِنٍّ وغيرِهَا

هكذا سألت الملائكةُ ربَّها، وهي في تسبيحٍ وتقديسٍ لهْ

فجاءتها الإجابة:

{(إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُون)}.

وكان تعلُّمُ الأسماءِ هو مِفتاحُ الاصطفاءِ لهذا الاستخلاف؛ للدخولِ من بابِ التوحيدِ إلى رياضِ العبادةِ مقصودِ اللهِ من الخلق.

وكانت الجَنَّةُ هي النقطةُ؛ لبدايةِ الحلقة الأولى من معاناةِ الارتباط الكائنِ بين الذنب والاستغفار... وبين المغفرةِ والهداية.

ولأنَّ الجنة لا تحلُّ لمذنبٍ؛ نزلَ آدمُ وزوجُه حوَّاء هابِطَينِ إلى أرضِ المعاناةِ بعدما أكلا من الثمَرِ المحظورِ من شجرةِ الاختبار.

وكانت الأرضُ مكاناً للذنوب والطاعاتِ معاً ... وفيها يقبل اللهُ منْ تابَ وآمن وعمِلَ صالحاً دونَ إهباطٍ إلى أرضٍ جديدةٍ من المعاناة.

كانت الجَنَّةُ تدريباً ودرساً؛ حتى تُدركَ ذريّتُهُما علَّةَ الفقدِ وحكمةَ التكليف

وأسرارَ العودةِ إلى تلك الجنَّةِ منْ جديدٍ، لكلِّ منْ تابَ وآمنَ وعمل صالحاً؛ حيثُ تكونُ الجنَّةُ نقطةَ النهايةِ؛ لبدايةِ الخلود.

حيثُ لا تدريبَ ولا اختبار ... بل نعيمٌ مُقيم

وحريَّةٌ لا تعرفُ محظوراً...

بل مُتعةَ الاختيارِ فحسْب.

لتختار وتختار ما شاء اللهُ لها أنْ تختار

وتلك هديَّةُ الجبَّارِ لمن اصطفاهم لجنته...

واصطفى من بينهم أنبياءهم في دنياهم

واصطفى من أنبيائهم خاتَمهم.

فكان المُصطفى المُختار (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم).

واسمه "مُحَمَّدٌ" و "أحمدُ" و "محمودٌ" وله أسماءٌ كثيرة.

ومن عَظُمَ قدرُهُ كثُرت أسماؤه.

"مُحَمَّدٌ" هو درّة تاج الأسماء التي علَّمها اللهُ لآدم...

لقد رآهُ مكتوباً على ساقِ العرش مُقترناً باسمهِ تعالى..

وذاك معَ أول عطسةٍ لاستقرارِ الروح في الصدر، وفتحةٍ من أجفانِ العينِ الناظرةِ، ولهجةٍ بالحمدِ الذي أُلهِمَ به من الاسمِ الجميلِ لصاحبِ الوسيلةِ والفضيلةِ، والمقامِ المحمود.

وهكذا تُصبحُ الحلَقَةُ مُكتمَلة...

بين قوله تعالَى: {(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِم)}

وبين قوله:

{(وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)}

وبين "آدمَ ومحمَّدٍ" العديدُ من الأسماءِ التي علمها اللهُ لآدم.

"آدمُ" (عليه السلام) دعَا ربَّه بجاهِ نبيِّ آخرِ الزمانِ أنْ يغفرَ له..

فغفرَ له.

{(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين)}

ولهذا خلَقَ اللهُ الأرحام.

وما زالت الذرية تتنقَّلُ عبر الأرحامِ الطاهرةِ، حتى وُلِدَ "محمَّدٌ" (عليه الصلاةُ والسلام).

لم يخلق اللهُ آدمَ في رَحِمِ أُنثَى، بل خلَقَهُ من أديمِ الأرض...

هذه التي ستعيشُ عليها ذريَّتُه، وفيها يُقبرون..

ومنها يُخرجون ليومِ الحشرِ والحساب.

فكأنها هيَ أُمُّهمُ التي تلدهم للجزاء، كما ولدتهم من قبلُ أرحامُ النساء للعمل.

ولم يخلق اللهُ "حوَّاءَ" في رحمٍ منْ بني جنسها...

بل خلقها منْ ضِلَعٍ أعوجَ في جسدِ "آدمَ" العُلويِّ لعلَّةِ الأُنس..

البدايةُ الترابُ الذي لم يُخلق منه بعدُ إنسانٌ، فكانَ نبيِّاً أباً للبشَر.

والنهايةُ الأرحامُ التي عصمها اللهُ منَ السفاحِ، فكانَ نبيِّاً سيدَ البشر.

فأنعمْ بِرَحِمٍ أخرجَ لهذه الدنيا "محمَّداً"، فكانَ الفرَجَ الكبيرَ للسابقين واللاحقين.

وأنعمْ بصَدرٍ ضمَّهُ وأرضعه.

لقد اكتسبت "الأُمُومَةُ" معنًى جديداً من القُدسيَّةِ منذُ ذلك الحين؛ فمثلُ "محمَّدٍ" لم ولن تلدَ النساء.

كلّما ازدادَ العبدُ طاعةً لربِّه سعِدَ بِه المكانُ والزمانُ، وسعدت به الأرضُ

فرفضت عودةَ ذَرَّاتِ جسدِهِ إلى ترابها؛ فهي لا تأكلُه...

فهو ابنها الذي تكره له التلاشِيَ في تُرابها..

وكيفَ تُحبُّ تلاشيَهُ وهو التقيُّ الورِع؟!

بل ستضمُّهُ ضمَّةَ المُحِبِّ لمن أطاعَ ربَّها فهو جزءٌ منها..

تفخرُ أنه منها...

ويشهدُ كلُّ موضعٍ منها بكلِّ ركعةٍ وسجدةٍ منه لربها

وبكلِّ تحميدةٍ وتهليلةٍ وتكبيرةٍ وتسبيحَة...

وبكلِّ صدقةٍ، ودعوةٍ تمَّت فوقها..

من كلِّ نبيٍّ ووليٍّ وصفيّ.

لقد حرَّمَ اللهُ على الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ، ومنْ بعدهم جسَدَ كلِّ صدِّيقٍ نقيّ.

هناك ذرَّةٌ نُورانيَّةٌ قُدْسيةٌ لؤلؤيّةٌ في قبضةِ الترابِ الذي خُلِق منهُ أولُ الأنبياء...

هي سببُ تردُّدِ "آدمَ" وامتناعِه عن الأكلِ منَ الشجرة أمامَ الوساوس الإبليسيةِ في بادئ الأمر مِراراً وتَكراراً..

وهذه الذرَّةُ المخصوصة..

هي التي نالت النصيبَ الأوفر منْ نفخةِ الرحمن...

فكان هذا النورُ المُحمَّديُّ المتنقِّلُ في الأصلاب..

صدقاً وأمانةً وعفَّةً..

وفطنةً وزعامةً ورحمةً تَسعُ العالمين.

وبينَ البداية والنهاية في عالمِ النبُوَّات...

شاءت قدرةُ البارئِ أنْ يخلقَ إنساناً منْ أُنثَى بلا ذَكَرٍ، كما خلَقَ "حوَّاءَ" منْ ذكرٍ بلا أُنثَى... فكانَ "المسيحُ" عليه السلام

فكيفَ نسُوا طلاقةَ القُدرةِ وألَّهُوا المخلوق..

وادَّعوا صلبَهُ وقبرَه بلا بُرهان

{(بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه)} بعدَ أنْ بشَّرَ وأنذَر

ثمَّ إنهُ سينزلُ في آخرِ الزمانِ؛ ليكون فرداً من أمَّةِ المُختارِ المحمود،

وليحاربَ أعداءَ ملَّتِهِ، ويدافعَ عن الحنيفيّةِ السمحاء...

ويقتلَ المسيخَ الدجَّال.

وخلقَ اللّهُ الناسَ منْ ذكَرٍ وأُنثَى

وأرسلَ إليهمُ الرُّسُلَ رحمةً بهم..

وبيَّنَ لهمُ الآيات...

وأسبغ عليهم نعمَه ظاهرةً وباطنةً؛ رحمةً بهم

وسبقت رحمتُه غضَبَهُ؛ رحمةً بهم

وشفَّعَ بإذنِه "محمَّداً" (صلَّى اللّهُ عليه وسلَّمَ) فيمن شاءَ منهم..

رحمةً بهم...

فسبحان منْ ادَّخرَ ليومِ القيامةِ تسعةً وتسعين جزءاً منْ رحمته التي جعلها مئةَ جزءٍ، وأنزلَ في الأرضِ جزءاً واحداً..

منه يتراحمُ الخلق..

وتحمي الدابَّةُ وليدَهَا منْ نفسِها قبل أنْ تحميَهُ منْ غيرها.

وإذا يومُ القيامة مقسومٌ شِطْرَين...

بين الواحدِ المعبود..

والنبيِّ المُقصود

يقول: " أمتي أُمتي"

ويُجيبُه المولَى: " رحمتي رحمتي"

ولذا فلنْ يُفيدَ العبدَ إخلاصُهُ للإلهِ حتى يسيرَ في عملِهِ على نهجِ:

{(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)}.

(11)

لماذا خلقَ اللهُ النَّار...؟

كأنَّ السؤالَ عنْ علَّةِ الإيجاد: لماذا خلقَ جميعَ الناس؟

أمنْ أجلِ قلَّةٍ شاكرةٍ تُساقُ إلى الجنَّة خلقَ هذا العددَ الغفيرَ الكثير..

من كفَّارٍ وفسَّاقٍ ومنافقين وسَفَكَةِ دماءٍ يُساقون إلى النَّار؟!

إذا علمت الخيرَ الكثيرَ المترتِّبَ على إيجادِ هذه القلَّةِ الشاكِرةِ، وقليلَ الشرِّ الناجمِ عنْ كثرةٍ منْ غُثاء، وكيفَ يضعُ اللهُ موازينَ القِسطِ فلا يظلمُ أحداً، لسكنَ قلبُكَ القَلُوقُ هذا.

الكمُّ يُعبِّرُ عنْ ضبطٍ دقيقٍ في لُغةِ العلِم، والكيفُ يُعبِّرُ عنْ طاقةِ الجوهرِ المكنونِ التي تَكَاثَفَت في نُقطةٍ واحدةٍ من النور.

وليميزَ اللهُ الخبيثَ منَ الطيِّبِ كانَ لا بدَّ منْ هذا الصراع الدائر بين الخير والشر ليرفعَ اللهُ درجاتِ الصابرين إلى مقاماتٍ عاليةِ المنازلِ، ويُمهلَ الظالمينَ ليقيمَ عليهمُ الحُجَّةَ عبر هذا التفاعل.

كلٌّ مُختارٌ لمصيرِه، وكلٌّ مُسَيّرٌ في قدَرِه الذي لا يُعرقلُ اختيارَه...

والعبرةُ بالمعيّة.

وهذا فكُّ لُغزِ انتصار العددِ القليلِ المُؤمِنِ والمُؤَمَّنِ بهذه المعيَّة تأميناً إلهيّاً.

والمؤمنُ إنسانٌ مُحِبٌّ يُدافعُ عنْ حُبِّهِ بلُطفِهِ وقسوتِه... بوردتِه وسيفِه... بودِّه وحزمِه... بحكمتِه وقوةِ بأسِه...

فهو يُحبُّ وجودَ ما خلَقَ اللهُ منْ مَلائكةٍ وجنَّةٍ وأنعامٍ ودواب..

ومن شَيَاطِينَ ونارٍ وعقاربَ وحيَّات.

يُحبُّ خِلقتها؛ لأنَّ اللهَ أبدعها، ويُعادِي الشيطانَ لعلّةِ كُفرِهِ وشرِّه.

واللهُ يقولُ في كتابِه: {(...فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)}، ولم يقل (الشياطين)، لأنَّ باب التوبة ما زال مفتوحاً أمامهم، والكراهية للشخص محسومة بخاتمته التي اختارَها لنفسِه، واللهُ أعلمُ بها منا.

أمرنَا اللهُ باتخاذِ الشيطان عدوًّا، ولكنَّه لم يأمرنا بكراهيةِ وجودِه، ولم يأمرنا بأنْ نبغضَ خِلقتَه؛ لأنَّ اللهَ هو الذي صوَّرَه.

إنَّ الكراهيةَ هي لُغةُ الشيطانِ التي استقاها منْ حقدِه وحسده.

والحسدُ هو منبعُ كلِّ شرٍّ، وسبيلُ الكُفرِ، وطريقُ الهلاك.

هلكَ الكثيرون لمَّا حسدوا وحقدوا... ونجا القليلُ الشكور.

كراهيةُ العدوِّ نارٌ تحرقُ بدائلَ الوصولِ إلى الأهدافِ السامية، والكارهُ لا خطَّةَ لديهِ ولا سلاحَ ولا مِفتاح. فكُنْ مُبغضاً لأعمالِ عدوك لا لوجودِه؛ حتَّى لا يتحوَّلَ عقلُكَ إلى جمودٍ لا نفعَ فيه.

الكَارِهُ يصنعُ لعدوِّهِ صورةً كَربونيةً، ثمَّ يخلقُ لها ساحةً خياليةً يُحاربُه على أرضها، وهذا هو ما يُريدُه العدوُّ منهُ في الأساس ليجرِّدَهُ منْ كلِّ انتماءٍ لوطنٍ حقيقي.

المؤمنُ يأخذُ النصيحةَ ولو منْ عدوِّه، كما أخذَ "زكريَّا" عليه السلامُ النصيحةَ منْ إبليس. وقد يأخذُ اللبيبُ الصدقَ منْ كذوبٍ؛ لأنَّ له عينينِ لم تزغهما فتنةُ المُضلِّين.

والعاقلُ لا يتمنَّى للعقاربِ انقراضاً، ولا للحيَّاتِ الفناء..

قد يقتلُ منها دفعاً للأذى، ولكنه لا يتمنَّى انعدامَ وجودها، بل هو يصنعُ منْ سُمِّها ترياقاً لكثيرٍ منَ العِلَل، ويعرفُ جيداً أنه لنْ يوصفَ بالخيريةِ في عالَمٍ خالٍ منَ الشرور، وأنَّ الظالمين لا بدَّ أنْ يُبعثوا للقِصَاص.

فالعدالةُ المسبِّحةُ في حكمةِ أحداثِ الدنيا...

ستُسبِّحُ ربَّها في الآخرة كذلك... ولكنْ في مصائرِ الناس.

والناسُ ألهاهمُ التكاثُرُ، فَانشغلُوا بالنِّعمِ عنِ المُنعم...

ومنْ فعلَ ذلكَ لم يتخذِ الشيطانَ عدوَّاً..

بل انشغلَ بكراهيةِ خلقتِهِ كصورةٍ في مُخيلتِه...

لها قرنانِ طويلان وعينانِ كجمرتينِ مُتَّقِدَتينِ منْ كتلةِ لهبٍ ذِي شَرَرٍ، ولهُ قُدُرَاتٌ تفوقُ قدرةَ الإنسان في التخفي وسرعة الحركة وحمل الأشياء ونقلها وغير هذا الكثير.

فلمَ لا يكونُ لدينا قدرةٌ كهذه ولا نعصي اللهَ بها مثلما هو فعل؟

كيف يُعطِي اللهُ هذه القدراتِ لكافرٍ عاصٍ كالشيطان ولا يُعطِيها لمؤمنٍ مُطيعٍ مثلِي؟ ...

احذر فهذا شَرَكٌ للسقوطِ في مثل ما وقعَ فيه الشيطان..

إذِ اعترضَ: كيفَ يأمرُه ربُّهُ بالسجودِ لمخلوقٍ منْ طينٍ بينما هو مخلوقٌ منْ نار؟ وكيفَ يعبدُ اللّهَ آلافَ السنين ثمّ يأمرُه بالسجودِ لمخلوقٍ من طين.. لمْ يعبدِ اللّهَ عبادتَه؟ أهو أفضلُ مني؟!

فامتنعَ كِبراً وعناداً... فشوَّهَ اللّهُ خِلقتَه وطرده منْ رحمته، فازدادَ حقداً على "آدمَ" وذريَّتِه.

فلا تكره ما شوَّه الله؛ فإنَّ ذلكَ خلقٌ منْ خلقِهِ قابلٌ للرجوعِ إلى الصورةِ الأولى طالما أنَّ باب التوبة لم يُغلق..

مثلما أعانَ اللّهُ منْ سلَّمَ عليه وصلَّى نبيَّهُ "مُحَمَّداً" على قرينِه فأسلم.

والعالمُ ملئٌ بالشياطين التي نجحت في إغواء الكثيرين..

كلٌّ بما يناسبه منْ علائقَ تهواها النفوس.

فعبدَ هذا المال...

فاستحلَّ جمعَهُ من الربا والرِّشا والغشِّ والاختلاس.

وعبدَ ذلك السلطان...

فخانَ وغدرَ وأشعلَ فتنَ الوصولِ إلى مقعدِ السلطة الزائل.

وعبد آخرُ النساء...

فاستحلَّ الحِرَّ، وسفكَ دمَ العفاف.

بلْ قالَ بعضُهم: لو فَعَلَتْ "زليخا" معي الذي فعلتْهُ مع "يوسف" (عليه السلام)، لفعلتُ معها الأفاعيلَ، وأشبعتُ شهوَتَهَا وأرضيتها أيَّما إرضاء، ولكنها وقعت معَ نبيٍّ صدِّيق!

أوَ ما علم أنه لمَّا امتنع عنها في حرَامٍ أعطاه اللهُ إياها في حلال، وأنَّ خوضَه في "زليخا" أمرٌ مأثومٌ عليه؛ لأنها أصبحت منْ آلِه وفي عصمتِه.

ومنهم منْ سارَ في طريقِ السحر والدجَلِ، واستغلَّ جهلَ الفتيَاتِ بالاعتداءِ عليهنَّ باسمِ العلاجِ وجلبِ المفقودِ وتزويجِ العانسِ وتحبيلِ العاقر.

وقد استعبده الشيطانُ، واستعبدَ للشيطان الناس..

وفرْجُ الأُنثى جعلهُ وجهاً منْ وجوه الشيطان...

فضاعت المسافةُ بين الوجوهِ والفُرُوج

وبينَ غضِّ البصرِ وحفظِ الفرْج..

لعب الشيطانُ الآدميُّ لعبته مع الشيطانِ الجنِّي في إفسادِ كلِّ مسافة.

وكأنَّ اللهَ لم يُنزِل:

{(قُل لِّلْمُؤْمِنِين..)}.

(12)

لم يكره "إبراهيمُ" – عليه السلامُ – النارَ ولم يبغضها أبداً..
بلْ كانت النارُ نوراً وجِناناً.
كانت النارُ ناراً تحرقُ القيودَ التي قيَّدَت يَدَيِ الخليل...
فلم تعد ثمَّةَ قيود.
كذلك نارُ الآخرةِ سوفَ تحرقُ أعداءَ المؤمنين فلم يعد أعداء.
جُلودُ المُعذَّبين في نارِ الآخرةِ ليست هي التي تتألَّم، وإنما نفسُ المُعَذَّبِ بالنار.. كافراً كانَ أو منَ العُصاة.
ولأنَّه لم يتَّبِع الرسالَةَ في الدنيا تتجدَّدُ الجُلُودُ باستمرار.
الجُلُودُ تُرسلُ إشاراتِ الألمِ، والألمُ رسالةٌ مُتجدِّدةٌ بتجدُّدِ الجلُود؛ حتَّى يتطهَّرَ المُذنبون، ويكونَ الواحدُ منهم مؤهَّلاً لجنَّةِ الخلود.
أمَّا الكافِرُ الجَاحدُ، والذي ماتَ مُشرِكاً..
فرسالةُ الألَمِ تتوالَى عليه باستمرارٍ، ولا خُروجَ له منَ النار.
والخلُودُ في جنَّةِ النعيمِ مُرتبطٌ بالتوحيد..
مُنعَجِنٌ به.
كما أنَّ الخلودَ في النارِ مُرتبطٌ بالشركِ والكُفرِ..
مُختلِطٌ بهما.

وذاكَ هوَ سرُّ الخُلُود؛ ...
لأنَّ المعبودَ الأحدَ هوَ الذي وهبَ الخُلُودَ لمنْ كلَّفهم بعبادته...
ومنْ هُنا كانت الجنّةُ والنَّار، وهما في تسبيحِهما لله مأمورَينِ..
أحدهما بالتنعيمِ، والثانيةُ بالتعذيب؛ ...
ولذلكَ فالنَّارُ لا تؤذي المُسبِّحين.
النعيمُ ذَاتُهُ تسبيحٌ مُستَلِذٌّ بذكرِ " الشكور"
كما العذابُ ذَاتُهُ مستلِذٌّ بتسبيح {(شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ...
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)}.

(13)

القلوبُ هي التي تعقِل...
وما الرؤوسُ إلا آلاتٌ خادمةٌ للتفكير.
أما قالَ الرسولُ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم) مُخبِراً عنْ ربِّه:
" لم تَسَعْنِي أرضي ولا سمائي، وإنما وَسِعَنِي قلبُ عبدِي المؤمن".
أنا إنسان..
لا فرقَ بيني وبين النملةِ والفيل
لا فرقَ بيني وبين الذرَّةِ والمَجرَّة
فجميعنا خلقٌ منَ الخلْقِ، وجميعنا صغير
والكونُ كلُّهُ صغيرٌ لأنَّهُ مخلوق.
ولكِي تُدْرِكَ صِغَرَ الصغير، لا بدَّ أنْ تكونَ لديكَ مَلَكةٌ كبيرَةٌ تُدركُ بها هذا الصغير.
تلك الملكةُ هي عينُ القلبِ الذِي يجلِسُ على كُرسيِّهِ العقل.
أنا إنسانٌ صغير..
والكونُ كلُّهُ صغيرٌ لأنَّه مخلوق.
والفرقُ الوحيدُ بيننا هوَ أنَّنِي خليفةُ الله، وأنني مزوَّدٌ بعقلٍ كبير..
وُهِبتُ إيَّاهُ منْ ربِّيَ " الكبير".

خدَعتِ الأحجامُ الأعينَ، ولعِبت بعقولٍ كثيرة..
فاختارتْ أنْ تكونَ صغيرةً عندما غفلتْ عنْ تسبيحِ "الكبير".
فإذا أدهشَكَ يوماً مخلوقٌ ما بحجمِه وشكلِه... أو بمنطقِهِ وفعلِه..
فقلْ دائماً: اللهُ أكبر.
وأَكِّد ذلكَ إنْ شئتَ؛ كَي تعلمَ منِ الأكبر؟
وعندئذٍ فلَنْ تُعَظِّمَ أيضاً إلا ما عظَّمه "الكبيرُ" ليكونَ كبيراً.
ومَا كانَ كبيرٌ كبيراً إلا بلطفِ وعطَاءِ وهِبَةِ "الكبير"..
وما كانت تكبيرَاتُ العيدِ بعدَ الحَجِّ والصومِ إلا لأنَّ التسبيحَ هو لُغةُ المتعبِّدينَ لله؛ لأنهم يرون أعمالهم مهما كَثُرَتْ صغيرةً في أعينهم تكبيراً " للكبير".
وهذا هوَ سرُّ القبول؛ ... لأنها ساعتئذٍ تغدو كبيرة.
ومنزلةُ العمل بحسَبِ إخلاصِ العبدِ وتواضُعِه أمامَ ربِّه "الكَبير".
فكُنْ صغيراً حتَّى تكبُر..
وكُنْ كبيراً حتَّى تُدركَ الصغير
فهذَا عملُ المُسبِّح.
والتسبيحُ هوَ المهمَّةُ الكُبرَى في هذا الوجود
واسمُ الله الأعظمُ كامنٌ فيه كمونَ العينِ في مِحْجَرِها..
قريبٌ منهُ قُربَ سوادِها منَ البياض
وهذا عملُ قومٍ يتفكَّرون.

(14)

كلُّ شيءٍ في هذا الكونِ يُهلِّلُ موحِّداً ربَّه
من القلمِ الأوَّلِ الذي خُطَّ بهِ اللوحُ المحفوظِ يُسجِّلُ قَدَرَاً..
إلى أقلامِ الورَّاقين من البشرِ تكتبُ علماً..
حكمةً..
أو قصَّةً منَ الأثَر...
منَ السبَّابةِ إلى ساريةِ العَلَم
ومن الهرمِ إلى المِئذَنةِ من الحَجَر
ومنَ السيفِ إلى البنادِقِ والصواريخ
ومن السيلِ الهَادرِ وموجِ البحر..
إلى امتدادِ الوادِي يجرِي خلالَهُ النهر
ومن وميضِ البرقِ في سماءِ الأمطار
إلى سَرَيانِ الكهرُباءِ في الأسلاك
ومنْ عُودِ النبتةِ إلى عمودِ الخيمةِ وألسنةِ النَّار
ومنْ قمةِ أصغرِ تلٍّ إلى سِدرةِ المُنتهَى
ومن جوفِ لُبِّ أصغرِ كوكبٍ إلى جوفِ لُبِّ أكبرِ نجم
ومنْ بطنِ الحوتِ إلى ساقِ العرش

ومنَ الواحدِ المرسومِ عدَّاً
إلى مسلَّاتِ الفراعين
.. منْ إبرَةِ الخيَّاطِ إلى التَّايِ يعزفُ لحناً..
ومنْ البُستانِ إلى ريشةِ الألوانِ ترسمُ وَطَنَاً
منَ الوردةِ إلى النخلَة..
.. ومن أصغرِ شُجيرَةٍ إلى أعلى شجرَةٍ في الغابة
حتى أيرِ الذَّكَرِ المُنتصبِ يكتبُ نسْلاً...
وإنْ كانَ صاحبُهُ كافراً؛ لأنهُ سيخرجُ عنْ طريقِه منْ يوحِّدُ اللهَ عنْ طريقِ التناسُلِ ولو كانَ احتمالاً.
فالتوحيدُ هو سرُّ الوجود.
حتَّى الزَّانِي الذي حادَت نفسُهُ عنْ أنوارِ التوحيدِ لهُ جسدٌ يشهدُ على فعلِه، وهو لهُ مُبغِضٌ مُستنكِر..
أنِ اقترفَ صاحبُهُ الفاحشةَ، وسقطَ في هاويةِ المَقت.
والأمَّةُ المُحَصَّنةُ بعدمِ الاقترابِ من الشبُهَاتِ هي الأمَّةُ الناجيةُ سليمةُ التوجُّهِ كاملةُ الزَّاد...
وهي المُهَلِّلَةُ جسداً ورُوحَاً ونفساً والحاكِمَةُ لهذا الوجود.
فإذا تركت تهليلَ ربِّها دَخَلَتْ في طَورِ الهلهلَة.
والتوحيدُ هو الطريق إلى الجنَّةِ وبابُهُ التسبيح...
والتسبيح هو بلوغُ المَنزِل، وبابهُ التوحيد

{(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون)}.

والجَنَّةُ سلعةُ الله.. وسلعةُ اللهُ غالية.

والجَنَّةُ ليسَ بها حلالٌ وحرامٌ، وليسَ بها لغوٌ منْ لغوِ الدنيا ولا حقدٌ ولا خصام.

والأدنَى فيها مقاماً يظنُّ أنه الأعلَى منزلة..

ولا ينظرُ فيها أحدٌ إلى ما في يدِ أخيه؛ لأنَّها سلامٌ في سلام..

وليسَ بها عورات.

أعدَّها اللهُ بشكلٍ مُسبَقٍ لعبادِه قبلَ دُخولِها..

كما أعدَّ أرضَ الدنيا للناسِ قبلَ خلقِ الناس.

وكُلُّ شيءٍ يُسبِّح اللهَ حتى الهباءَةُ التي لا تراها عيناك.

وأبداً.. ليس هناكَ شيءٌ يَمَلُّ منَ التسبيح، أو يفترُ عنِ التوحيد.

والإنسانُ المؤمنُ رطْبٌ لسانُهُ بالذِّكرِ، ولا يملُّ أبداً إلا منْ صيغةِ الذِّكر الواحدةِ التي ألهمهُ الله بها؛ لأنه مُختار..

ولأنهُ متعدِّدُ الذَّوق، والاختيارُ يُحبُّ التنقَّلَ بين الأذكار؛ ...

ولذلكَ قد نوَّعَ لهُ ما افترضَ عليهِ وجعلَ التطوُّعَ مفتوحاً.

أمَّا الملائكة..

فلا تملُّ أفرادُها منَ الصيَغِ المُعطاة.

ولأنها مفطورةٌ على الذَّوقِ الواحد...

فلكلِّ طائفةٍ منها ذِكرهُ الخَاص.

وبتعدُّدِ صِيَغ التسبيح...

تعدَّدَت الملائكةُ، وتباينت الكائنات، وتنوَّعت المخلوقات، ودارت الأفلاك.

ووُجِدَ "آدمُ" وبَنُوه، وكانَ الاستخلافُ في الأرض.

وكان الحَجُّ فجاوزَ به عالمَ المُلكِ مُسافرَاً ومُهاجراً...

وكانت الزكاةُ ففارَقَ الأَثَرَةَ إلى التكافل، وكانت الصدقةُ فعرفَ الإيثار..

وكانَ الصومُ فكان صبرُ الأتقياء على الجوع والعطش جسراً..

إلى إحياء الروح.

وفُرضتْ الصلاةُ ليلَةَ الإسراء في أعلى عُروجٍ للرسولِ الخَاتَمِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) لتجمَعَ كُلَّ أعمالِ الملائكة...

منْ قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ وقعود..

ومن تكبيرٍ وتحميدٍ وتمجيدٍ وتهليلٍ وتسبيح

ومنْ تلاوةٍ لكلامِ المعبود..

واستغفارٍ ودعاء..

وتحيّةٍ وشهادةٍ وصلاةٍ على الرسول

فدارَ العابدُ بها في عوالمِ الملكوتِ دورتهُ الخاصةَ بِه.

وسبَّحَ معَ الأشياء

وسبَّحت معه الأشياء..

وسبَّحَ الكُلُّ ربَّ التفاصيل

وسبَّحت التفاصيلُ ربَّ الكُل

(15)

البدايةُ مأساة..

حيثُ الجنَّةُ التي رفضت وجودَ العِصيان

والنهايةُ مأساة..

حيثُ قيامُ الساعةِ على شرارِ الناس

فلا تجدُ بينهم منْ يقول: الله أو لهُ فيهِم مُسبِّحَاً.

وباختفاءِ الطاعةِ انتهتِ الدنيا.

وما بينَ البدايةِ والنهاية...

أنبياءُ وصِدِّيقُون وأولياءُ وصالحون

ومحسنُون ومؤمنون ومسلمون

وقانتون وتائبون...

ونهايةُ النهاية..

جنَّةٌ لهؤلاءِ عرضها السماواتُ والأرضِ، ونارٌ لغيرهم ممَّن كفرَ وجحدَ وضلَّ والتوى، واختارَ النفاق واتَّبعَ الهَوى.

والحقيقةُ أنَّهُ بعدَ أنْ خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ، وجهَّزَ الكونَ قبلَ تكوينِ بُنْيَةِ الإنسانِ تلكَ التي حرَّمَ نقضَها قتلاً إلا بالحق...

أصبحَ الكونُ يحكي...

وأصبحت النفسُ طالبةً لدى هذا المُعلِّم
تتأمَّلُ ...
وتطلبُ الفَهْم...
جلَسَ المعلِّمُ في هُدوء
ثمَّ قالَ لطالبتِه:
بلغني أيتها الطالبةُ الذكيّةُ ذاتُ الإشراقةِ البهيّة.
أنَّهُ في سالِفِ العصر والأوان...
لا بخيالٍ كتبه بَنانُ إنسانٍ، بلْ منْ واقعِ ما حدثَ وكان.
أنَّه كانَ هناكَ جبلٌ وعرُ المسالِكِ كثيرُ المهالِك وسَطِيُّ الارتفاع..
يتوسَّطُ مملكتين خاويتينِ من البشر.
وكأنَّ الأشباحَ تسكنُ إياهما
كلُّ شيءٍ مُعدٌّ إعداداً فيهما...
إذا نَظَرْتِ من القمَّةِ إليهما
عَرَفْتِ أنَّ بينهما تنافراً وصراعاً.
وإليكِ على كثرةِ الاختلافِ مثال:
فعرشُ هذه لا يُشبه عرشَ المملكةِ التي تُجاورها على الجهةِ الأخرى بأيَّةِ حال.
وتغزِلُ سماءُ هذا الجبلِ العالي بدايةَ الأحداث:
اتَّخذَ كهفٌ عزيزُ البابِ، مُتماسكُ الجناب، رفيعُ القبابِ.. في قمته موضعاً له.

يضربُ في جبينه نورُ شمسِ النهارِ، وتدخلُ ساحته النجومُ مثل أطيافٍ رفيقةٍ يؤمُّها بدرُ المساء.

هكذا قعدَ هذا الكهفُ متوسِّداً قمةَ الجبل..

ينتصبُ في عزَّةٍ وشموخٍ بين هاتين المملكتين.

فهو الناظرُ في أمرهما، والحاكمُ على حالهما في نهايةِ المطاف.

كهفٌ مُسلَّطٌ عليه النور.. بينه وبين السماءِ وِصال.

بينما في سفحِ ذات الجبل، كهفٌ لا تمسُّهُ النار ولا يقربه ماء..

ولا يقصدهُ في واحدةٍ من ليال.

كأنما يفرضُ نفسه على جسمِ الجبلِ فرضاً، فرقَّ لحالِهِ ومنَّ عليه بجزءٍ منْ قعرِهِ على مضضٍ واستكراه.

متعرِّجٌ من الداخلِ كأنه مهدومٌ، كثيرُ الثقوبِ كأنَّه مهلكة.

بينما كهفُ النور على يمينِ الجبل قد أطلَّ ببابه على إحدى المملكتين.. كانَ هذا الكهفُ المُعتمُ في السفح على شِمالِه فاتحاً فمَه - كأنه إحدى السباع – صوبَ المملكةِ الأُخرى.

أما كهفُ النورِ، فالجبلُ به مُختالٌ كأنه ابنه الراكبُ صهوتَه...

لتركضَ به أوتادُه، وأوتادُهُ سنابكُ خيولٍ عربيةٍ تركضُ في قوةٍ وإباءٍ بسيِّدِ الأبطال.

وهناك نزلَ الوحيُّ على هذا المُتعبِّدِ المُبتهِل " إحسانٍ بن إيمانٍ بن إسلام".

كان " إسلامٌ" مُغرماً " بقمَّةِ الجبل"..

منذُ أعوامٍ من الأعوام.. أحبّها..
عانَى في حُبِّه لها
راسلها بأطهرِ الكلماتِ العذبَة
استحتْ " قمَّةُ الجبل" منْ جميلِ الغزَل..
صمتت ولم تُجِب
اكتفت بالسماء، وأبعدَت النظر.
لم ييأس "إسلام"..
عادَ الغزَل، فواصَلَت الحياء
عندئذٍ تأثَّرَت السماءُ، وبإذنٍ من ربها سمحَ الرحمن..
فتآلفَ السحابُ، والرعدُ والبرقُ تعانقا
نزلَ المطَر..
تحدَّرَ الماءُ الساقطُ على وجهها، فاختلطَ بالماءِ الساقطِ على وجهِ "إسلام".
عندئذٍ نظرَ "إسلامٌ" إلى السماءِ مثلَها يدعو الرحمن.
انشرَح صدرُ " قمةِ الجبل" فهزَّت جِيدَها ثمَّ قالت في كبرياء:
"اصعدْ إليّ"
اهتزَّ "إسلامٌ" لقولها واضطرب..
جَرَى ثُمَّ قفزَ لأعلَى، وشرَعَ في الصعود.
بَدَا الأمرُ سهلاً في بدايتِه
خُطواتُ قدمه في تتابعٍ وجزعُهُ مائل..

وفجأةً.. غيَّرَ انحدارُ الجبلِ مسَارَ أقدامِه، وأخذَ يقتربُ عالِيه منْ هامتِهِ مُقترباً منْ تعامد.

عندئذٍ مالَ جذعُ الصاعدِ أكثر، واستعانَ بكلتا يديهِ مُحتفظاً بإقدامه.

قمَّةُ الجبلِ ثابتةٌ في مكانها.. مثلَ الشجرةِ الأم...

ترقبُ " إسلاماً"

تنتظرُ في لهفةِ الأمِّ شُجاعاً

نادته في ارتفاع: "احذرْ"

تداركَ "إسلامٌ" الخَطَر

قاربَ بينَ الخطواتِ الصاعدة

أحسَّ "إسلامٌ" بالتعب

اضطربَ صدرُهُ بالأنفاسِ الناهدة..

نَضَحَ جلدُهُ عَرَقاً، وفي رعشَةٍ جاهدةٍ واصلَ الصعود.

عانَقَ مطرُ الحُبِّ عَرَقَ الكفاح..

هبَّتِ الرياح..

اشتدَّ انحدارُ الجبل، وازدادتْ مسالكهُ تعرُّجاً

تقابلت صُخورُهُ في تلاحمٍ عنيف..

برزَتْ منهُ أطرافٌ مُدبَّبَةٌ كأنها أسنّةُ الرماحِ ونصالُ السيوف.

واصلَ "إسلامٌ" الصعودَ لا يكلُّ ولا يملُّ ولا يخور..

يحدوه الشوقُ الجميل، وطاقاته يُجدِّدُ بعضُها بعضاً كلهيبٍ من زيتِ الزيتون.

كأنَّهُ مَعِينٌ لا ينضُبُ أبداً منْ نشاطٍ، وكنزٌ لا يفنى أبداً منْ جديد..
اتَّخذَ قراراً أنْ يكون.
دنت القمَّةُ شيئاً فشيئاً كأنها تنحدر
تعجَّبَ "إسلامٌ": "سبحانَ منْ صوَّر"!!
قَوَامُ القمَّةِ الممشوق.. عيناها السارحتانِ في كبدِ السماء..
عروقُها الجبليةُ تظهرُ للعيانِ، كأنها الياقوتُ والمرجان.
بدأت المسافةُ تنزوي مُخلِّفةً خلفها الخطواتِ، ولم يعد إلا اليسير.
القمَّةُ على مرمَى البصر
تلاقَى البصرانِ..
واصلَ "إسلامٌ" الصعود
قوّةٌ جبَّارةٌ جعلتهُ يرتعدُ بشدّة...
ضربَ إحدى الصخورِ بإحدى يديه دونَ أنْ يشعر مُحافظاً على اتزانِه.. ثمَّ تدارك بالأخرى مواصلاً..
سقطت إحدى الأحجارِ من ضربةِ يده مُنفصلةً عن جارتِها في انكسارٍ حاد آخذةً طريقَها إلى السفح كأنها تصعدُ وتهبطُ في آنٍ واحدٍ، وكأنها إذْ تنشطرُ أجزاءً مُمَزَّقةَ الخلايا تصرخُ في واد.
ولكنَّ " إسلامَاً" لم يضعف ولم يسقط
واصلَ الصعود.
"القمةُ في انتظارك يا " إسلام"

هكذا قالت ملائكةُ السماء.

ضربت اللحظةُ على عودِ الجبلِ ألحاناً من أجملِ الألحان.

"إسلامٌ" على أعتابِ القمة.. القمةُ أبصرت الهمَّة...

شدَّت " إسلامَاً" إليها، وقبل أنْ تهدأَ الأنفاسُ المُتلاحقة..

قالَ لها: "هل تقبليني زوجاً؟"

" القمّةُ" باسمةً: نعم

تملَّكت الفرحةُ "إسلام"

عبَّرَ عنْ فرحتهِ بالنظرِ إلى السماء، ولله أسلَمَ وجهه.

باركَه الرحمن.

"إسلامٌ" و "القمةُ" تعانقا.. تبادلا تسابيحَ الغزَل.. سَهِرَا حتَّى السَّحَر.

وفي الفجرِ عندَ الكهفِ جامعَ " إسلامٌ" القمة.

القمةُ حملَت...

مرَّ الزمان..

القمةُ وَلَدَت

ولدت "إيماناً".

هكذا دَخلَ "إسلامٌ" على "القمّةِ" في الكهفِ العُلويّ والثَّمَرَةُ "إيمان".

أما الكهفُ السفليُّ المُعتِمُ الكائنُ في سفحِ ذاتِ الجبل المذكور، فقد أحسَّ بكلِّ ما دار في كهفِ النورِ، وأخذَ يُفكِّرُ في باحتِهِ المهجورةِ والغَيرةُ تكادُ تأكلُ جنبَه، وتخنقُ بابه.

ولكنَّ عدوَّ "إسلامٍ" اللدودَ "ظَلامٌ" المُغرمُ " بسفحِ الجبل" راودَ "سفحاً" عن نفسها، فتهرَّبت منه...

فزحفَ إليها مُتسلِّلاً، وواقعها سِفاحاً في الكهفِ السفليّ فأظلمَ أكثر.

وحملت "سفحٌ" ثمَّ جاءها الطلقُ، فوضعتْ "عصياناً".

واختلفت الأحداثُ ما بين فوقَ وتحت، وما بين تباعدِ المكانِ وتقاربِ الوقت.

كبرُ الولدان، وغدا فَتَيَين، ولكنَّ "إيماناً" ظلَّ هو الأكبرُ دائماً.

ورغم أنَّ الكهفَ السفليَّ لم يعُد مهجوراً كالسابقِ إلا أنَّهُ ضجَّ منْ تمرِّدِ "عصيان".

أمَّا "إيمانٌ" لمَّا بلغَ أشُدَّهُ وآتاهُ ربُّهُ الرحمنُ حُكماً وعلماً، وخلَقَ لهُ زوجَهُ منْ نفسِه الصالحة، وأعطاهُ أسماءً منْ بينها اسمُها.. فاختار "هدايةَ" لها اسماً.

وكان زواجُ "إيمانٍ" منْ "هدايةَ" أوَّلَ الرواية

صحيفةٌ خضراءُ مُمتدَّةٌ بين السماءِ و" قمَّةِ الجبَل"..

بها تعاليمُ إلهيةٍ منْ أمرٍ ونهيٍّ وبيان..

وما يجبُ للزوجِ منْ حقٍّ على زوجتِه، وما يجبُ للزوجَةِ منْ حقٍّ على زوجها.

فلمَّا حملَتْ "هدايةُ" منْ "إيمانٍ" جاءَ الأمرُ بمُغادرةِ الجبل إلى المملكةِ المطلِّ عليها بابُ كهفِ النور.

فأخذَ بيدِ "هدايةَ" وأخذا يتحدَّرَانِ منْ فوقِ القمَّةِ مثل ماءِ السيولِ الحانِيَةِ، كلاهما يحمِي الآخرَ حتَّى وصلا إلى حافّةِ الوادِي.

وما إنْ وضعت "هدايةُ" قدميها على أرضِ هذه المملكة حتَّى جاءها الطَّلقُ فولَدَت "نضالاً".

رضعَ "نضالٌ" منْ أُمِّهِ لبنَ الهُدَى، وتعلَّمَ منها ثَباتَ الصِّلاب.

وسَرحتْ عيناهُ في جمالِ المملكةِ الخلَّاب.

أحسَّ أبوهُ بالأحاسيسِ الطاهرة بينَ ولدِه "نضالٍ" وبين الجميلةِ "جمالِ المملكة" فوعدهُ بتزويجِها لهُ إذا بلغَ مبلغَ الرجال.

ولا يكون إلا ما شاءَه الرحمنُ المُتعال ... سُبحانهُ ليسَ إلا به القوَّةُ والحَال.

كانت المملكةُ خاويةً منَ البشر، ولم يكن بها إلا "نجمُ الليل بن بدرٍ بن خيال"

وزوجتُهُ "ضوءُ الشمس" بنت "صُبحٍ بن أعمال" و"جمال المملكة" ابنة "تسبيحِ خالقِها الكبير" و" نومٌ بن راحةَ بن أحلام" و" فانٍ بن مُزيِّنِ باطلٍ بن حقير".

وكانَ عرشُ المملكة مُرتفعاً عن بُسَاطِ الأرضِ مرصَّعاً بنادرِ الجوهرِ وغريبِ الدُّر، ومنْ صافِيَاتِ الفضَّةِ والذَّهبِ الحُر.

أمَّا "نومٌ بن راحةَ بن أحلام" فقد حضرَ قَرَانَ "نجمِ الليل" على "ضوءِ الشمس" فناما معاً عندَ عرشِ المملكة فانعكسَ من عرشها شُعاعٌ مُركَّبٌ منْ ألوانٍ لطيفاتٍ على أرضِ المملكةِ الخصيبةِ فازدادَ خَضارُها إشراقاً وبهاء.

وإنه لمَّا جلسَ "إيمانٌ" على عرشِ المملكةِ، لم تشغله دُنيا المُلكِ وفتنةُ الكُرسيّ عنْ ربِّه الرحمن ملكِ الملوكِ الأحد الذي {(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)}

ولم يخدعه "فانٍ بن مزيِّنِ باطلٍ بن حقير"، وخلعَ على مملكتِه اسم "مملكة الصلاح".

وبينما حكمَ "إيمانٌ بن إسلامٍ" مملكةَ الصلاح، كانَ "عصيانُ" ذلك المُتمرِّدُ القاطنُ في الكهفِ السُّفليّ قد أخذَ قراراً أنْ يهبطَ منْ هبوط.

فقد كانَ على شاكلةِ أبيه "ظلامٍ" يكره الصعود.

أمرَ الرحمنُ سُبحانه عبدَهُ "إيماناً" أنْ يذهبَ إلى "عصيانَ" ويأمرَهُ بجهادِ نفسِه.. وأنْ يصعدَ الجبل ليُقابلَ "إسلاماً" ويتعلَّمَ منهُ التوحيد.

أخذَ "إيمانٌ" معه "ضوءَ الشمس بنت صُبحٍ بن أعمال"

ووافَى "عصيانَ" عند بابِ الكهفِ السُّفليّ، وبلَّغَ الرسالَة.

ولكنَّ "عصيانَ" أبَى إلا النُّزول..

ولم يُطقْ كلامَ "إيمانٍ" ولا سُطوعَ "ضوءِ الشمس".

لم ييأس "إيمان"..

أخذَ "ضوءَ الشمسِ" إلى مملكته

وسهِرَ معَ "نجمِ الليل" يدعوانِ الرحمن أنْ يهديَ "عصيانَ".

وفي اليومِ التالي باشَرَ أحوالَ المملكة.

وفي المساءِ ذهبَ إلى "عصيانَ" مُصطحباً معه "نجمَ الليل بن بدرٍ بن خيالٍ" فوجده قد حرَّكَ قدميه في بُطءِ الكسولِ نحو المملكةِ المُقابلةِ لبابِ الكهفِ السفليّ.

ولمَّا أعادَ "إيمانٌ" عليه الرسالةَ مُبشِّراً إياه إنْ أطاع، ومُنذِراً إنْ عَصَى،

لم يُطعِه "عصيانُ" ولم يُطقْ بياضَ النورِ المُنعَكسَ منْ " نجمِ الليل".
عصَى "عصيانُ" ربَّه وتكبَّرَ على الرسالةِ، وضايقهُ سطوعُ الشمسِ وبياضُ النجم... ولم يبصر "إيماناً" ولا نورَه الشديد.
رجعَ "إيمانٌ" إلى المملكةِ حزيناً على حالِ "عصيانَ" الغريبِ وشكِّه المُريب.
عندئذٍ نصحهُ ابنه "نضالٌ" - ولم يزلْ في المهدِ بعد - أنْ يذهبَ إليه في صُحبةِ "فانٍ بن مزيِّنِ باطلٍ بن حقير".
استحسنَ "إيمانٌ" نصيحةَ ابنه "نضال".
وعلى الفور أمرَ "نوماً بن راحةَ بن أحلام" أنْ يُحضرَ إليه "فانٍ" ليَمثُلَ بينَ يديه.
فلمَّا جاءَ "فانٍ" ومثُلَ بين يَدَي "إيمان"..
ألقى عليه السلام:

- السلامُ على أميرِ مملكةِ الصلاح

ردَّ "إيمانٌ":

- وعليكَ السلامُ ما دُمتَ في حوزةِ الزاهدين فيك..

ولا سلامَ عليكَ ما دُمتَ في يدِ طامع.
إنني ما استدعيتُكَ إلا لأُمِيزَ بكَ الخبيثَ من الطيِّب.

- إنما جعلني ربي بلاءً {(...أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا..)}..

وسمعاً وطاعةً أيها الأميرُ ما أطعتَ الرحمنَ فأنا الذليلُ بين يديك، آتيك وأنا راغمٌ... ومنْ عصى أذلَّهُ الرحمنُ لِي، ولا يأتيه مني إلا ما أراده اللهُ له.... أعصيه ولا أسمعُ له، ويجري خلفيَ لاهثاً ولا آتيه.

- إنني أريدُ أنْ أحسمَ أمرَ "عصيان"، إنْ كانَ سيهتدي أم يكونُ من الذين لا يهتدون...؟

سآخذك معي إليه وأنت في كاملِ زينتك، وأَوجِ فتنتك؛ ففي هذا بعد دعوتي إليه بيانَ أمرِه.

فإنْ جاهدَ نفسه فأباكَ وضعنا فيهِ أملاً، وواصلنا دعوتَه.

وإنْ اختارك وفضَّلك على الجهادِ، تركناهُ لنفسه واختيارِه.

- سمعاً وطاعةً للأمير.

كانَ "فانٍ" قد سمعَ عن "عصيانَ" ودعوةِ "إيمانٍ" له

منْ "ضوءِ الشمس" و "نجمِ الليل" لكنَّه لم يره من قبل.

والآن هو مُكلَّفٌ بالذهابِ إليه في صُحبةِ "إيمانٍ" كبلاءٍ يكشفُ الرحمنُ به أمرَه لَه.

استجمعَ " فانٍ" كلَّ زينتِه منْ فُرُشِ النساء وزينةِ البنين وبريقِ الذهبِ، ودلالِ المال ورقابِ الخيل، ومدِّ البصر منَ الأنعامِ والحَرْث.

فلمَّا وصلَ " إيمانٌ" ومعه " فانٍ بن مُزيِّنِ باطِل" إلى الكهفِ السفليّ، كانَ " عصيانُ" قد دخلَ المملكةَ الكائنةَ في مواجهة الكهف.

ويسمعُ "عصيانُ" لطيفَ صوتٍ وجَلَبَةَ زينةٍ لأموالٍ وأولاد، ووقْعَ ركضِ لخيولٍ صاهلة، وأصواتاً أُخرى لأغنامٍ وأبقارٍ وجِمالٍ وغيرها.

ولما نظرَ.. رأى كذلك زرعاً مُمتدّاً في الفضاء...

وأبصرَ ثماراً مُختلفةَ الألوانِ منْ حُبوبٍ وبقولٍ وزينة.

فانبهرَ ووقعَ الفَرَحُ منه، فشرعَ قافلاً يُسرعُ الخُطَى طمعاً في هذا الخير.

فلمَّا رأى "إيمانٌ" منه السيرَ أمرَ "فانٍ" بالوقوفِ خلفه.

وإذا بـ " عصيانَ" يُبصرُ " إيماناً" عندَ الكهفِ السفليّ، والطمعُ في "فانٍ" أوقفَ قدميه مُخاطباً " إيماناً":

- خلِّ بيني وبين هذا
- لا
- إذاً أعْطِنِي منه وخُذ أنتَ الباقِي
- إنما منَّ الرحمنُ به عليَّ لمَّا أطعتهُ فهو يتبَعُني، وحُرِمْتَ أنتَ منه إذ عصيت

- سوفَ أصعدُ الجبلَ كما أمرتَ فاعطنِي منه

- أمنْ أجلِ " فانٍ" تُريدُ طاعتي! لا واللهِ لا أعطيكَ منهُ إلا زوجةً لك تختارُها مما أعرضه عليك.

كانَ " إيمانٌ" قد أعدَّ اختباراً ... فأمرَ " فانٍ" أنْ يُجهِّزَ عشْرةً منَ النساء، وألبسَ أجملهنَّ ذات الدينِ والعفاف لباساً فضفاضاً، والتي تهوَى الفسادَ وتكره القناعةَ سمحَ لها بالتفنُّنِ في التبرُّجِ ما شاءت.

وكانت منْ بينهنَّ امرأةٌ ذاتُ دينٍ ودُعاءٍ وصلاة..

قد تعطَّرت بالوضوء، وتجمَّلت بالسجود
وإنَّ رؤيةَ جمالها تحتاجُ إلى فِراسةِ قلبٍ مُطمئنٍّ بذكرِ الرحمن.
فلمَّا عُرضنَ على "عصيانَ" رأى منهنَّ عاريةً كثيرةَ الحركَات تُغرِي بالشهواتِ، وفيها من الجمالِ آية.
وأجالَ بصَرَه نحوَ الأُخرياتِ فوجَدَهنَّ أقلَّ دلالاً وقد رفلنَ في ثِيابٍ ساتِرة.
وأعمَى الطمعُ أعينَ " عصيانَ" فأهملَ المُصلِّيةَ العابدة ولم يرَ حقيقتها المُدهشة.
واختارَ التي تعرَّت منْ كلِّ فضيلةٍ ولم يرَ حقيقتها المُوحشَة.
وعلمَ "إيمانٌ" شقاوةَ "عصيانَ" وتألَّمَ لاختيارِه قائلاً:
- بئسَ ما اخترت
ثُمَّ تركه ومضَى، و" فانٍ" في أثرِه.
انشغلت أعينُ "عصيانَ" بفتنةِ هذه الغانِيَة.
وظنَّ أنهُ بحصولِه عليها سيكونُ أغنَى منْ " إيمانٍ"، ولكن شتَّان وهيهات..
زمنُ الفرصةِ قد فات.
قالت له وهي تبتسمُ في خُبثٍ ودلال:
- اسمي " فاتنة"
تحرَّكت نحوه واضعةً إحدى يديها على كرْمِها، والأخرى في حركةِ الثعابين على بطنها فخصرِها، ثمَّ فرجها غير الحصين.
وسرعانَ ما همَّ "عصيانُ" بها...

فتصنَّعت التمنُّعَ وجرَت منهُ نحوَ الكهفِ السُّفليّ.
جَرى "عصيانُ" خلفها في حماسِ الحريص...
ودون أنْ يشعر " عصيانُ" بما تحت قدميه اللاهثتين خلف " فاتنة"..
انزلقت به فارتطمَ بإحدى الأحجارِ الناتئة.
ولكنه في سبيلها لم يشعر بالألم.
" فاتنةُ" تحملُ معها فراشاً من ديباجٍ سميكٍ ناعمِ الملمسِ مُعطَّرٍ بأفخرِ العطورِ، وطوقاً منْ زهور.
وقفت لحظاتٍ ثمّ اختفت..
ثُمَّ ظهرَت ثانِيَةً في تمايُلِ الغانيات..
"عصيانُ" بلا تفكيرٍ يَصرخُ كالمجنون: فاتنةٌ أنتِ أو ساحرة.
واصلَ "عصيانُ" المُطاردة.
" فاتنةُ" تضحكُ في سُرور...
تجرِي يميناً وشِمالاً.
"عصيانُ" يُسمِعُها منْ لاذعِ شوقِه، ولا يفتأُ يرميها بالكلماتِ الماجنة.
ألقتْ بنفسها داخل الكهف السفليّ...
وفي سرعةٍ خاطفة.. لحقَ بها "عصيانُ" عند الكهف واضعاً إحدى يديه على بابه الغنيِّ بتضاريسِ السفوح.
وقبلَ أنْ يلتقطَ أنفاسَهُ المُلهَبَةَ ألقَى بنفسِه داخلَه.

" فاتنةُ" فوقَ الفراشِ الحريريِّ الوثيرِ تتقلّبُ مثلَ الحيَّاتِ الزاحفة التي أطلَّت برأسها في زاويةٍ ما..

هي مائلةٌ كأسنمةِ النوق.

"عصيانُ" تسمَّرت قدماهُ لديها وقد برزتْ منهُ العروق، ثُمَّ ما لبثَ أن ارتمَى نحوها في خفَّةِ السارق الذي استعبدَهُ المَسروق.

" فاتنةُ" اختفت للمرَّةِ الثالثة، ثمَّ ظهرت في إحدى زوايا الكهفِ المُتعرِّج.

وبينما " عصيانُ" يسَّاقطُ على فراشِها كالمحموم يقولُ في خاطرِه الثائر:

أمِلكِي أنتِ أمْ أنا مُتفرِّجٌ قد زاده الفراشُ اللَّيّنُ بصاحبته تعلُّقاً.

ورجاها توقُّفاً... فلم تُوقفْ ذاك التلاعب.

لقد جعلته " فاتنةُ" يتحرَّكُ كالطائرِ المحبوسِ الذي لمسَ كلَّ أَجزاءِ قفصِه بحثاً عن مناص.

جرَى نحوها مُتعرِّجَاً مع تعرُّجاتِ الكهفِ السفليّ، وهو يرى في حصولِه عليها الخَلاص، وقد جعلته ثقوبُ الكهفِ يسقطُ كثيراً كأنَّهُ يتهدَّم.

أذلَّتْهُ " فاتنةُ" بتهرُّبِها منه.

قالت له: "تعال...

تقدَّم...".

غضبَ " عصيانُ بن ظلامٍ" ثمَّ ما لبثَ أنْ انقضَّ عليها مُمسكاً بها في عُنف.

داعَبَها في سرعةِ أهلِ النَّهَمِ وخائِفِي فواتِ النّعم.

ثُمَّ جامعها حتَّى لحظةِ القذف.

مرَّت بهما لحظةُ الالتذاذِ سريعاً.

لم يشبع " عصيان"...

جامعها بعد ذاك مرَّتين، ثُمَّ خرَّ صريعاً لا يقوَ منها على قُبلتين.

فتنته " الفاتنةُ" كما فعلت بمن قَبله.

جعلتْ منْ نفسِها قِبلته...

حتى هلَكَ بسببها.

وحملتْ " فاتنةُ" منْ " عصيانَ"، ومكثت في الكهفِ السفليّ ترعى حملها بعدَ أنْ دفنت "عصيانَ" في إحدى الثقوب.

هكذا خسرَ " عصيانُ" كلَّ شيء.

ذهبَ ولم يمكث في المملكةِ المواجهةِ للكهفِ السفليّ، وذهبَ جاهلاً بأمرِ مملكةِ الصلاح.

هلكَ دونَ المملكتينِ كالتَّائِه الشريد.

رفضَ دعوةَ " إيمانٍ" وخدعه " فانٍ"، ورفضَ الصعودَ فخسِرَ التوحيد.

أمَّا " ظلامٌ" أبوهُ، فقد رأى كلَّ شيء.

وما علمت " سفحُ الجبل" بهلاكِ ابنها " عصيانَ" حتَّى ارتجَّت جنباتُها حُزناً عليه.

وإذا بزلزالٍ يعقبه بُركانٌ، وقد زحفَ بصهيرِه نحو المملكةِ الممتدَّة أمام كهفها.

انتشرَ "ظلامٌ" فاقدَ الثباتِ يطوِّقُ " سفحَ الجبل" الفاقدةَ الوعيّ.

ولكنَّ " قمةَ الجبل" أرسلت بعضَ عروقها في باطنِ الأرض، وظلَّت في علوها ترقبُ السماء.

" فاتنةُ" في الكهفِ السفليّ قد ارتفعت بطنُها في استدارة...

وما زالت تتقلَّبُ في خُبثٍ غير عابئةٍ بما حولَها.

وعند لحظةِ الولادةِ أخذَت تتألّمُ آلامَاً شديدة.

ولمَّا لم تستطع تصنُّعَ اللامبالاةِ، فقد رأت الولادةَ حلّاً، وحفَّزَت نفسها للطلقِ حتى وضعت " كُفراً".

نزلَ " كُفرٌ" باكياً ساخطاً...

يضربُ جُدرانَ الكهفِ في غضبِ الشقيّ.

ورضع "كُفرٌ بن عصيانَ بن ظلامٍ" منْ "فاتنةَ" حُبَّ الشهواتِ

وعِشْقَ الجحودِ، وهوى الإعراض.

وشكَّلَ دَمُهُ ما في طبعِهِ منْ أمراض..

وأخذَ ينمو حتَّى صارَ غُلاماً.

وواكب هذه الأحداثَ حدثٌ عظيمٌ في مملكةِ الصَّلاح...

حيثُ تمَّ زفافُ " نضالٍ بن إيمانٍ بن إسلامٍ" على " جمالِ المملكةِ" ابنة " تسبيحِ خالقِها الكبير"

وتفصيلُ هذا..

أنَّهُ لمَّا قفلَ " إيمانٌ" إلى مملكتِه، ومعه " فانٍ بن مزيِّنِ باطلٍ بن حقير" وجدَا " هدايةَ" زوجته وابنه " نضالاً" في استقبالِه

وبينما "ضوءُ الشمس بنت صُبحٍ بن أعمال" قد أشرَقت منْ أَمامِه، قالَ "نضال":

- وعليكم السلام، ما الخبر؟ هل اهتدَى " عصيان"
- بلْ خسِرَ المعركة
- كنتُ أشعرُ بهذا

واستأنفَ " إيمانٌ" أمرَ المملكة

ولما كانَ الغدُ فاتحَ أباهُ – على استحياءٍ – بما في نفسِه:

- أبي، ماذا عنْ وعدك لي بشأنِ " جمال المملكة ابنة تسبيح خالقها الكبير"؟
- وهل ستدفع مهرها؟
- وما مهرها؟
- صعودُ الجبل عند جدِّك " إسلام"، ومُكثُكَ عنده شهراً منْ أيامِ العام.

في سرعة المُستبشر المقدام – وعيناهُ على قمةِ الجبل – نظرَ "نضالٌ" وهو يقبضُ على أصابعِ راحةِ يُمناهُ في قوَّةِ أولِي العزمِ منَ الرجال إلى ما هوَ أبعدُ منَ القمم البعيدة.

وفي حماسةٍ قالَ لوالدِه:

- أدفعُ المهرَ إنْ شاء الرحمن

والحقُّ أنْ " نضالاً" كانَ يملؤهُ الهُدَى، وقد تفتّحَت ملكاته منذُ الصغرِ على قيمةِ الحياةِ، وعرفَ عبادةَ باريءِ الوجودِ الفتَّاح.

كانَ في صِبَاهُ زينةَ الأولاد، وقد تعلَّمَ منْ أبيهِ أعمالَ المؤمنين.

فكم صحبَهُ في مَغَانِي المملكةِ ورِياضِها...

فرآهُ وهو يستقبلُ وفودَ الرياح، ونسماتِ الهواء، ويُخاطبُ الحقولَ الغنَّاء، ويزرعُ الأرضَ في غُدُوٍّ ورواح، ويرعى أغنامَ الوادي، ويحميها منَ الذئاب، ويَجعلُ بالتسبيحِ نيرانَ الخليلِ برداً وسَلَامَا.

فسبّحَ معَ أبيه ربَّ الأكوان...

وانطلَقَ مثلَ المصباحِ المُتَّقِد بزيتِ الزيتون..

فِي لِينِ الفُرسانِ ورفقِ الحَنُون.

مثلَ قبسٍ لا ينطفئ، وشُعلةٍ دائمةِ الحياة.

حتَّى إذا بلغَ أشدَّهُ واستوى ونالَ أنوارَ المُحبين

وأصبَحَ جديراً "بجمالِ المملكةِ ابنة تسبيحِ خالقها الكبير"...

لم يتوانَ عنْ دفعِ مهرها، وأصبح نعم الزوج، ونعم الرَّاعِي.

حتى تسلطَنَ منْ بعدِ جدِّه على الجبل، ومنْ بعد أبيه على المملكة، فلقبَّه الناسُ " بإحسان".

فهوَ " نضالٌ" وهو " إحسانٌ"..

"إحسانٌ بن إيمانٍ بن إسلامٍ"...

عبدَ " إحسانٌ" ربَّهُ كأنَّهُ يَراه

فإنْ لم يكنْ يراه

فهو سبحانَهُ يراه...

أمَّا " كُفرُ بن عصيانَ بن ظَلامٍ" فإنَّهُ لمَّا بلغَ عُمراً مُتقدِّماً، ذَهبَ إلى جدِّهِ " ظلامٍ" مُستفسِرَاً:

- أخبرني يا جدِّي، لمَ مملكةُ الصلاح عامرةً بالسكّان؟

ألمْ تكنْ مهجورةً مثل مملكتنا؟

- " كُفرُ" يا ولدِي إنَّ هؤلاءِ تسخَّرَت لهم الأشياء، وانقادَت لهُم وتوالدوا مُتكاثرين بالبركة دونَ أنْ يُلهيهم التكاثُر؛ لأنهم أطاعوا وآمنوا، ونحنُ عصينا وكفرنا؛ فنصيبنا كما ترى صَحْراءُ قاحلَة.

- وهل يا جدِّي إنْ نحنُ آمنا ستصبحُ مملكتنا كمملكتهم؟

- نعم، ولكن سوفَ يتسيَّدون علينا، وهذا هو ما نرفضُهُ تماماً

- ولماذا هُم سبقونا إلى هذه الرسالة؟

- إنه اصطفاءُ منْ كفرنَا بِهِ.

حزِنَ " كفرٌ" أكثرَ، وذهبَ إلى أُمِّه " فاتنةَ" وشررُ الغضبِ يملأُ عينيه:

- سوفَ نُحاربُ مملكةَ الصلاح ونأخذُ منهم ما بأيديهم.

ابتسَمتْ " فاتنةُ" في خباثة:

- أحسنت، ولكن لا بد أنْ يكون لنا ذريَّة. استدع " كافرَاً بن مُضلٍ بن حاقِدٍ" فوراً.

- ولمَ؟

- سوفَ أُمكِّنهُ منْ نفسي

- ماذا؟ إنه ليسَ منْ مادَّةِ خلقنا. إنه من المخلوقاتِ الخفيِّة ولا يظهرُ لنا إلا قليلا.
- لا بد
- حسناً

وجاءَ " كافِرٌ" وكانَ معروفاً من قبل " بزينةِ العُبَّاد"،

فلما طُردَ منْ كهفِ النور، بعدَ أنْ رفضَ السجودَ " لإسلامٍ" الذي أمرهُ بهِ الخالقُ العظيم...

وسوسَ " لإيمانٍ" حتى أطاعه في الأكلِ منْ شجرةِ الشكِّ الملتصقةِ " بقمة الجبل".

فَعُوقِبَ " زينةُ العبَّاد" باللعنةِ، وأصبح اسمه " كافراً بن مُضلٍ بن حاقد".

وأنجبت " فاتنةُ" منْ " كافرٍ" ذريةً بعدَ ذريَّة..

أسماؤها مشوَّهةُ الدِّلالَة، فلا تدل إلا على ضلال.

فاضطرب حالُ المملكة على يدِ " فوضَى بن قيلٍ بن قال"،

وسَفُلَت أكثر على يدِ " شهوةِ بن عَلَقٍ بن انحدَار".

وأصبح " لكفرٍ" وزيرٌ يدعمه هو " حبيبُ الظُّلمِ بن طامعٍ بن مُغتر".

وقد أفسَدَ الرعيةَ " عربيدٌ بن شَرَهٍ بن ضياع".

وأزاغت أفئدتهم " هوى النفسِ بنت إلحاحٍ بن آمال"

تُعينها " غَوايةُ بنت يمكرُ شرَّاً بن أضل".

وانتشرَ النفاقُ على يدِ " خُذلانَ بن بُخلٍ بن فسوق"

وظهرَ الفسادُ والشرُّ والسِّحرُ الأسود.

وأصبحت مملكةُ الظلام في تأهبٍ للحرب...

وبانتظارِ إشارة " كفرٍ" بالهجومِ على مملكة الصلاح...

أما مملكة الصلاح، فقد أنجبت "جمالَ المملكة ابنة تسبيح خالقها الكبير" الكثيرَ والكثيرَ منْ صُلبِ "إحسانٍ بن إيمانٍ"

ذريةً بعد ذرية...

أسماؤها سليمةُ الدلالَة..

حيثُ استقامت القلوبُ على يدِ " تأديبٍ بن إمساكٍ بن أفعال"

وصلُحَت الجوارِحُ على يدِ "جُنُودِ القلب بن مُسخَّرٍ بن ما شاء اللهُ كان".

وقامَ قضاؤها على العدلِ على يدِ "فقهٍ بن علمٍ بن رؤيا".

واستوزرَ " إحسانٌ" على مملكته " زمامَ الاختيارِ بن فِرَاسَةَ بن أفعال".

وقادَ الجُندَ " عزمُ الهُدَى بن صلاحٍ بن آمالِ المُتقين".

وكانَ على ميمنة الجيش " مُغيرُ الحق بن ضربةِ الآسادِ بن ثابت"..

وعلى الميسرَةِ " مُقيمُ الحق بن غضبةِ الخَلاصِ بن حازم"

وقد شدَّت على يدهم " سكينةُ بنت المهديّ بن انطلاق"

تُعاونها " فريدةُ بنت علَمِ الهُدَى بن انتصار"...

وقد ظهرتْ آياتُ الخيرِ والنور.

وإنه لما التقَى الفريقان وقفَ بينهما " فانٍ بن مُزيِّنِ باطلٍ بن حقير" وهو يقول في صوتٍ جهير:

- سأكون منْ نصيب المنتصر منكما، فإن تعادلتما كانَ لكلِّ فريقٍ منكما نصفُ ما معي.

وعلم " إحسانٌ" أنَّ " فانٍ مأمورٌ بذلك.

وهرَبَ " كافرٌ بن مُضِلٍ بن حاقِد" لما رأى انكسارَ جيش " كُفر".

وبينما يسوقُ " فانٍ بن مُزينِ باطلٍ بن حقير" كلَّ ما معه من الزينةِ واللهو والمُتع الزائلة إلى صفِّ المنتصِر، إذا بكثيرٍ من جنودِ " إحسانٍ" يتركون ساحةَ المعركةِ طمعاً في " فانٍ"، بعد أنْ نجحت في إغوائهم " هوى النفس بنت إلحاجِ بن آمال" وأوقعتهم في شَرَاكها " غَوايةُ بنت يمكرُ شرَّاً بن أضل".

فاضطربت جيوشُ " إحسانٍ"، وأعاد " كفرٌ" ترتيب صفوفِه...

ورجعَ " كافرٌ بن مُضلٍ بن حاقد" وعلى وجهه فرحةُ الشيطان.

وتأرجحت كفة النصر بين الفريقين، وقفلَ كلٌّ منهما لا منتصراً ولا خاسراً.

ورجع " كفرٌ" والغبطة تملؤهُ؛ لأنَّ جزءاً كبيراً من "فانٍ" أصبح منْ أملاكِه.

ولكنَّ بعضَ الجُنُودِ منْ جيشِهِ قد انحازَ إلى " إيمانٍ" وانضمَّ إلى جُند " إحسان" الذي اعتبرَ ذلكَ انتصاراً كبيراً.

أعادت ترتيبَ صفوف جيش " إحسانٍ" " سكينةُ بنت المهدِيّ بن انطلاق"، وقد أمرتهم بالتعلِّمِ مما كان.

وأعطتهم " فريدةُ بنت علَم الهُدَى بن انتصار" الكثيرَ منْ أسرارِ الانتصار.

وانقسمَ الكونُ ليلاً ونهارا... وصحارَى ورياضاً.

وكل ما جَرَى فيهِ منْ فسادٍ كانَ هو السبب في استبدالِ هؤلاءِ العُصاةِ بعالمِ الإنس.

لتبدأَ رحلةٌ كبيرةٌ منَ النضالِ بين الظلماتِ والنور...

تكونُ الجولةُ الأخيرةُ فيها لصالِحِ النور، ...

وفوزِ منْ سارَ على خُطَى " إحسانٍ" الذي لم يأكل منْ شجرةِ الشك...

والذي تسلطن على المملكتين، وسيطرَ على القمةِ والسفح. وأعطته الطبيعةُ لساناً جديداً.

وإنما لغةُ الطبيعةِ بحسبِ لغةِ منْ يعيشُ فيها؛ ...

فهي مرآة أعمالِه.

الطبيعةُ لا صحْراءَ فيها ولا أشواك..

وهي مفطورةٌ على طاعةِ ربِّها.

إنما الصحْراءُ صحْراءُ النفسِ العاصية، وأشواكها في اتباعِ الهَوى.

ولو لم تكنْ معصيةٌ، ما كانت صحراءُ ولا كانَ ذُبولٌ قَط.

ولو لم يكن الصالحون المقربون، ما كانت زِينةُ الأرضِ منْ حدائق ورياضٍ ولا كانَت أنهارٌ ولا عُيُون.

وعلى كل امرئٍ أنْ يختارَ مملَكته، فقد انطوت في داخله أعلامُ الوجود، وانبسطتْ في ربوعِ نفسِه السَّاحة.

أما سمعت قول الرسول (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم):

" إنَّ اللّهَ – عزَّ وجلّ - خلَقَ الخلقَ في الظلام ثُمَّ ألقَى عليهم منْ نورِه فمنْ مسَّهُ النورُ فقد هُدِي ومنْ لم يمسّه النورُ فقد ضل.."

ولمَّا انتهت الطبيعةُ منْ روايةِ قصتها...

قالتْ الطالبةُ لمعلمها:

"ثُمَّ كُتِبَ للوجودِ أنْ يُعدَّ غارَ حِراءَ لنبيٍّ آخر الزمان الذي شدَّدَ على حُسنِ اختيار الأسماء.

وعلى يديه غدت "يثربُ" " طابا"

وكل اسمٍ قبيح غيَّرَهُ إلى الاسمِ الحَسَن.

ودانت الأرضُ بكلِّ ممالكها إلى صاحب أجمل الأسماء سيدنا "محمّدٍ" (صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم) أعبد الخلق لله. هذا الاسم الذي شقَّهُ اللّهُ لهُ من اسمِه "المحمود" سُبحانه.

{(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)}

وقد دَعاه بها كأنَّهُ يراه

فإنْ لم يكن يراه

فهوَ يراه

فاخترقَ ملكوتَ السماء

ولولاه ما خلقَ اللّهُ الدنيا، ولا كانَ هُناك اصطفاء.

وهكذا بدأت القصةُ بالهُبُوطِ الذي يطلبُ سماءً.

وانتهت بالعروجِ الذي يطلبُ ما هوَ أعلَى منَ السماء، ثمَّ يطلبُ الأعلَى سبحانَه.

"فسبحانَ مُبدعِ البدائعِ لم يبغِ في إنشائها عوناً منْ خلقِه"

وعندئذٍ..

سبَّحَ المُعلِّمُ معَ تسبيح الطالبة

(16)

لكلِّ مخلوقٍ عجائبُه...
وفي كلِّ شيءٍ آيةٌ لمنْ تفكَّرَ واعتبَر.
السابحُ يتقلَّبُ بيديه ورجلَيهِ في عالمِ الدنيا...
والمُسبِّحُ يتقلَّبُ بروحِهِ في عالمِ الملَكوت.
الفرقُ بينَ سبَحَ وسبَّحَ شَدَّةٌ
وحرفُ الباءِ يقولُ الكثير؛ ...
فشتَّانَ بينَ سياحةِ السابح وسياحةِ المُسبِّح الذي يرى ربَّهُ في كلِّ الآيات.
".. والتكبير والتسبيحُ أفضلُ منَ الصدقةِ، والصدقةُ أفضلُ منَ الصومِ، والصومُ جُنَّةٌ منَ النار"...
هكذَا قال سيّدُ المُرسلِين
كما أخبرَ كذلك:
" أنَّ تلاوةَ القُرآنِ أفضلُ منَ التكبير والتسبيح".
وما كانَ ذلك هكذَا..
إلا لأنَّ التسبيحَ بكلامِ الله أفضلُ منَ التسبيحِ بكلامِ البشَر.
ولولا التسبيحُ ما تصَدَّقَ المُتصدِّقونَ...
ولا صامَ الصائمون.

ولُغةُ التسبيح هي لُغةُ الحُبِّ والأُنس.

وهيَ اللغةُ المُعجزةُ التي تأنسُ بالمذكورِ وتنمو بالمحبَّةِ الخالصة؛

لتقول كلُّ ذرَّةٍ في شبَحِ المُحِبِّ المؤتَنِس:

"باسمكَ اللّٰهُمَّ سبحانك"

(17)

كانَ يسيرُ حاملاً جِوالاً على ظهرِه...
لا أحدَ يعرفُ ما بداخلِ هذا الجِوال.
وفي يومٍ منَ الأيامِ رآهُ أحدُ الأئمَّةِ وهو يسيرُ بجِوالِه هذا حاملاً إياهُ فوقَ مِنْكَبِه اليمين.
فقالَ الإمامُ في نفسِهِ دونَ أنْ يُحرِّكَ لسانَه:
"(سُبحانَ الله).. ولكن هل يعلمُ هذا الدرويشُ الجَوَّالُ أنِّي سبَّحتُ ربِّي عندَ رؤياه؟"
بينما اتَّجَهَ الإمامُ ليُصلِّيَ بالناس دخلَ هذا الدرويشُ المسجِدَ واضعاً جِوالَهُ جانباً.
وبعدَ أنْ توضَّأَ وصلَّى...!
رفعَ عقيرَتَهُ صائحاً وهو يُجيبُ أحدهمُ الذي سألَه عمَّا بداخلِ هذا الجِوال:
"كِلابٌ وقطط.. تسألونَ عمَّا بداخلِ جِوالي...
كلابٌ وقططٌ ميْتَة! وهلْ التسبيحُ باللسانِ، التسبيحُ هُنَا بالقلب...!"
وأشارَ إلى صدرِه وعيناهُ علَى إمامِ المسجد...
ثمَّ أخذَ جِوالَه وخرجَ عائداً إلى تَجْوالِه...
والجَميعُ في ذُهُول!

ما فائدةُ الأعين؟

ما لم تكُنِ البصيرَةُ عاكفَةً في المِحراب

وما جَدوَى الجَوارِح ما لم تكن القلوبُ حيَّةً بتسبيحِ ربِّها.. والجَوانِحُ لازمةً لبابِ الفتَّاح.

(18)

العابدُ العاملُ أعبدُ منَ العابدِ بلا عمل.

وكذلك المسبِّحُ حاملُ الرسالةِ هوَ الأعبدُ بينَ المُسبِّحِين؛ ...

لأنّهُ عابدٌ عالِم.

أما ترَى النّحلَ أفضلَ من النمل..

فكذلك المُسبِّحُ صاحبُ الرسالةِ مبعوثٌ بالعطاء ودواؤهُ يتعدَّى ذَاتَهُ إلى غيرِه، والشيطانُ عاجِزٌ أمامَه رغم نصيبه الأكبرِ منْ عداوةِ الشيطان.

(19)

الانكسارُ قوةٌ تحت رمادِ ضعفِ الاشتعال..
يعرفهُ إحساسُ المتواضعِ الصامت.
وهذا الإحساسُ الوقَّادُ هو الذي يُضرمُ نارَ العِشق.
هو مترجمُ الأمل...
مُجدِّدُ الهُدَى
ناسجُ الحضاراتِ بنهي النفسِ عنِ الهَوى...
منْ خُيوطِ جمالاتِ الوصِال.
يردُّه إلى القمَّة حبلُ الله المتينُ المُشتعلُ بنورِ الاعتصام...
فلا تأكُلُهُ نار.
وإنما تأكل القُربانَ الذي قدَّمهُ في حضرةِ ربِّه
والقربان {(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ..)}
فنورُهُ نار..
ونارهُ نور
فتلكَ هي العروةُ الوثقَى التي لا تنفَلّ..
وذلك حبلُ اللهِ الذي لا يحرقُهُ الاحتراق

(20)

كلُّ اسمٍ للهِ عظيم.

ولكنَّ الأسماءَ الجوامعَ هي التي جَعلت العبادَ يبحثُون عن الاسمِ الأعظم لربهم العظيم، كاسمِه (الرحيم) و(الكريم)، واسمِه (الحميد المجيد).

فاجتهدَ بعضهم وقالَ: الاسمُ الأعظمُ هو (الله)، وقالَ آخرون: هو (اللهُ الحيُّ القيوم)، وقالَوا بل هو (ذُو الجلالِ والإكرام)، وقالوا: بل هو ليسَ اسماً مُحدداً، فكلُّ اسمٍ يجمعُ الأسماءَ فهو اسمُ اللهِ الأعظم.

قالَ "يونسُ" (عليه السلام): {(... سُبْحَانَك...)}..

سبحان الله... هذا الذكرُ العجيب الذي يحملُ كلَّ معانِي التقديسِ والتنزيه للهِ، وفي حروفِه الكثيرُ منَ الأسرار.

أما ترى في هذه الحروفِ الخمسةِ عجباً: سينٌ وباءٌ وحاءٌ وألفٌ ونونٌ!

ذلك لأنكَ ستجد هذه الحروفَ في البسملة وفي آيةِ الكُرسيّ، ودعاء "يونس" (عليه السلام) ودعاء كلِّ صحابيٍّ دعا بدعاءٍ ثمَّ أخبره الرسول (صلى اللهُ عليهِ وسلَّم) بأنه دعا ربَّه باسمِهِ الأعظم...

فعنْ بُرَيدةَ قال: سَمِعَ النبيُّ (صلى اللهُ عليه وسلم) رجلاً يقول:

" اللّٰهُمَّ إني أسألُكَ بأني أشهدُ أنك أنتَ اللّٰهُ لا إلٰه إلا أنت، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلِد ولم يُولد، ولمْ يكُن لهُ كُفُواً أحد"، فقالَ: " لقد سألَ اللّٰهَ باسمِهِ الذي إذا سُئِلَ بِهِ أعطَى، وإذا دُعِيَ بهِ أجاب".

وعنْ ابن سيرين عن أنس بن مالك قالَ: سمِعَ النبيُّ (صلَّى اللّٰهُ عليهِ وسلَّمَ) رجلاً يقول: "اللّٰهُمَّ إني أسألكَ بأنَّ لكَ الحمدُ لا إلٰهَ إلا أنتَ وحدك، لا شريكَ لك، المنَّان بديع السماواتِ والأرضِ ذُو الجلالِ والإكرام"، وفي روايةٍ أُخرى: "... يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ يا قيوم"، فقالَ: "لقد سألَ اللّٰهَ باسمِهِ الأعظم الذي إذا سُئِلَ بِهِ أعطَى وإذا دُعِيَ بِهِ أجاب".

فأنت لا تحتاجُ لجهدٍ كي تُدركَ احتواء هذا الدعاء، وغيرِهِ من الأدعية على هذه الحروف الخمسة.... ولا يغيبُ عنك وجودُ حرف السين في قولِهِ: "إني أسألُك...".

ولكنْ لحظة.. أليست هناك رواية عن أسماء بنت يزيد عن النبيِّ (صلَّى اللّٰهُ عليه وسلَّم) أنه قال: "اسم الله الأعظم في هاتينِ الآيتين {(وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ)} وفاتحة سورة آلِ عمران ({الم * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)}". فأين حرف السين والباء في الآية الأولَى؟ وأين السين والباء والنون في الآية الثانية؟

إنَّ هذه الحروف موجودة بالفعل بالجمعِ بين الأمرين معاً: الآيةُ الأولَى، وفاتحة سورة آل عمران، ومن هُنا فحرفُ النون موجودٌ في الآية الأولَى، وحرفا السين والباء موجودانِ في فاتحةِ سورة آلِ عمران باعتبار أننا نشرعُ

في استفتاحِ السورة بالبسملة، فنقول: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ {(الم * اللهُ لا إله إلا هوَ الحيُّ القيوم)}؛ فنصُّ الرواية ينصُّ على وجودِ الاسمِ الأعظمِ في الآيتين، ويتضح أنّ المقصود بالآية ليست الآية المنفصلة عن الآية بفواصل الآيات، وإنما المُعجزة والعلامة، فقد قال: "في هاتين الآيتين" وذكر من فاتحةِ آلِ عمران أكثر منْ آية، ونحنُ نفتتحُ سور القرآن بالبسملة.

فإنْ كانَ المقصودُ وجودَ الاسمِ الأكبر في كلِّ آيةٍ منَ الآيتين على حدة، فلا ننسَى أنَّ كلِّ مُناجاة للهِ بأسمائه الحُسنَى تحملُ معنى الدعاء والطلب، مما يعني سؤال العبد حاجته من ربه وحده، والسؤال به حرف السين، فهذا الحرف موجود في الآية الأولى ولو بشكلٍ باطنيّ، وحرفُ السين نفسهُ بِه حرفُ النون الذي تبحثُ عنه، واسم الله (الرحمن) فيه معنَى البسملة؛ وذلك لأنَّه ولفظَ الجلالة (الله) هما الاسمان الوحيدان اللذانِ لا يجوزُ مُطلقاً تسمية غيرهِ بهما، فالبسملة باطنةٌ في الآية مثلها مثل السؤال؛ وذلك لأنَّ اسم اللهِ (الرحمن) اسمٌ من الأسماء الجامعة لصفاتِ اللهِ سبحانه، كما انَّ اسم (الله) جامعٌ لكلِّ أسمائهِ الحُسنَى تباركَ صاحبُهَا. ونحنُ نقول بسم الله، وبسمِ الرحمن، والبسملة بها حرفُ الباء... فسُبحان اللهِ العظيم.

ويرجح هذا الأمرَ الحديثُ الأقوى سنداً، عن ابن عباس أنَّ عثمان (رضي اللهُ عنه) سألَ رسولَ اللهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم) عن بسمِ اللهِ الرحمن الرحيم، فقال: "هو اسمٌ منْ أسماءِ الله، وما بينهُ وبينَ اسمِ اللهِ الأكبر، إلا كما بين سوادِ العينِ وبياضِها منَ القُرب"

لقد ألهمني ربِّيَ الأعلى بهذا الأمر العظيم، عندما شحذتُ سيفَ تأمُّلِي ولَحَظَ بصيرَتِي في لفظةِ (سُبحان) وحروفها العجيبة.

أما ترَى أنكَ من المُمكنِ أنْ تحصلَ منْ هذه الحروف على كلمتينِ ملَكُوتِيَّتَينِ في عوالمِ الوصل الكائنِ بين الخالقِ البديعِ والمخلُوقِ المُسبِّح.

وهما كلمتا: حُبٍّ وأُنس.

وأنَّكَ بالحبِّ تكونُ مُخلِصاً، وبالأُنسِ تكونُ مُتَّبِعاً للنَّهج..

وأنَّ منْ لا أَحَبَّ لمْ يكن مُوحِّداً ولا هادِياً، ومنْ لمْ يأنس لم يكن مُتَّبِعَاً للشَّرعِ ولا مُهتدياً.

فمن أخذَ بواحدةٍ منهما دُونَ الأخرى تاهَ كالمجذُوبِ الغائبِ أو أصبحَ ظاهراً بلا جَوهَر.

ومنْ لم يجمع بينهما لم يكنْ منْ أربابِ السُّلُوك.

ومن جَمَعَ بينهما صَلُحَ لقيادةِ العالمِ أجمع؛ لجمعهِ بين السلوكِ وأسرارِ الوصول.

وهَذا هوَ أوَّلُ سرٍّ منْ أسرارِ اسمِ اللهِ الأعظم... هذا السر الذي يكمنُ في حروفِ (سُبحان).

فانظر إلى حرفِ السين منَ الأسرارِ والسَّرَيَان.. والكُلُّ لهُ - سُبحانه - في سُؤالٍ وإليهِ في سِبَاقٍ، وهوَ السَّرمَدِيُّ الدائم وهوَ القدُّوسُ السلام.

والباءُ منْ بدايةِ كلِّ أمرٍ، وهو – سُبحانهُ – المُبدئُ المُعِيدُ البارئ، وهو البرُّ الباسطُ الباقِي، وهو الباطنُ البصيرُ بالخفيات.

والحاءُ حياةٌ وحكمة تتوسَّطُ الأسرارَ والبدايات والنهاياتِ والدعاءَ والأقدارَ مثلما يتوسطُ الحرفُ ذَاتُهُ لفظةَ (سُبحان)، وهوَ منَ الحُب والحَرب والحركة والحرارة...

وهو من الحرفِ ذَاتِهِ في كلِّ اللغاتِ وعلى كلِّ الألسنة.

ومن حُوتِ الحبسِ المؤقت لنبيِّ اللهِ "يُونس" (عليهِ السلام)، وكأنه محبرةٌ إلهيةٌ نبويّةٌ لكتابةِ القصَّة {(فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)}.

والألفُ حرفُ مدٍّ بعدَ الحاء في نغمةِ اللسانِ، وما يتَّصِلُ بذلكَ منَ المُناجاةِ والدعاء ليَأخُذَكَ إلى المصدرِ العلويّ لمفاتيحِ حرفِ الحاء.. واللهُ – سُبحانهُ – هوَ صاحبُ الإحسَانِ الحيِّ القيُّومِ الدائم.

والنونُ نَبَأٌ عظيمٌ في كلِّ آيةٍ منْ آياتِه – سُبحانه -.

وما نمت حبَّةٌ ولا نبتَ نباتٌ إلا بقدرتِه، ولا نَبَضَ قلبٌ ولا نبعَ ماءٌ إلا بعزَّتِه، ولا نَبُهَ عقلٌ إلا بحكمتِه، ولا نشأَ شيءٌ إلا بمشيئتِه، ولا نجمَ أمرٌ إلا بإذنِه، ولا نشَرَ شجرٌ إلا بلطفِه، ولا نصَعَ لونٌ ولا نَضُرَ وجهٌ إلا بنورِه، ولا نَطَقَ لسانٌ إلا بقوَّتِه، ولا كتبَ ولا جرَى قلمٌ إلا منْ نونِ سُلطانِه..

فسُبحانَه سُبحانَهُ سُبحانَه.

ولعلَّكَ تستنتج بحدسكَ المُسبِّح لربِّك أنَّ حروف (سُبحان) متى اجتمعت في فِقرةٍ أو جُملةٍ يحسنُ الوقوفُ عليها، وقد قصدَ كاتبها أو قائلها منْ ورائها الخير، إلا ازدادت رونقاً كأنها روضةٌ قد حفتها أشجارُ البان،

وارتصَّ حولَ سياجها النخيل والأعناب، وحفلت بالزهورِ منْ كلِّ لونٍ منْ النارنج والنِّسرين والياسمين والعنبر، وأضاءت كنبراسٍ من هُدى المتقين، ونورِ الغُرِّ المُحَجَّلِين، وسرَت بكَ في شوقٍ براحلةٍ كَبراقِ النبيِّين إلى الذِّكرِ الحكيم ثمَّ عرجت بكَ إلى سدرةِ المُنتهَى حيثُ صريرُ الأقلامِ ودويُّ تسبيحِ الملائكةِ الكُرُوبيِّين، وزوَّدتكَ بزادِ المُسافرين إلى حضرةِ ربِّ العالمين.

{(لا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ (سُبْحَانَكَ) إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)}

دُعاءٌ فيهِ اعترافٌ بوحدانيةِ الإلَه.

مَشفوعٌ بالتنزيهِ الإلهيّ والاعترافِ بالذنب.

وفي هذِه الثلاثةِ يكمنُ سرٌّ كبيرٌ منْ أسرارِ اسمِ اللهِ الأعظم..

التوحيدُ والتنزيهُ والافتقارُ في طلبِ المغفرة.

وهذا هو السرُّ الثانِي منْ أسرار الاسم الأعظم للهِ سُبحَانه.

وهوَ دُعاءٌ يونُسِيُّ التوجُّه..

ولا ينالُه إلا صادِقُ التوكُّلِ علَى منْ سبَّحَه سُبحانه...

بلسانِه وقلبِه..

ودعائِهِ وفعلِه.

وتسبيحُ المُتوكِّلينَ تُلَخصهُ: " اعقلها وتوكَّل"

{(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُه..)}

ومنْ كانَ حسبهُ الله..

سَيُريهِ تجلِّياتِ معيَّتِهِ في كلِّ أمرٍ استنفدَ بشأنِه كلَّ أسبابِه

فتحرَّكَ لسانُهُ بحمدِهِ، وازدادَ له تعظيماً على تعظيم.

ومنْ هُنا نفهمُ لمَ كانَ الثِّقَلُ في الميزانِ لكلمتينِ:

" سُبحانَ اللهِ وبحمدِه، سُبحانَ الله العظيم"

رغم كونهما خفيفتينِ على اللسان.

وندرك السرَّ في دعوى أهل الجنة في الجنة: {(سُبْحَانَكَ اللَّهُمّ)}

وكون دعواهم الأخيرة {(أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)}

وعَلاقةَ ذلك بتحيتِهم فيها {(وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)}

ولمَ أمرَ اللهُ نبيَّه (عليه الصلاةُ والسلامُ) بالتسبيحِ بحمده قبل طلوعِ الشمسِ وقبل الغروب، ومن آناءِ الليل وأطرافِ النهارِ وأدبارِ السجود.

وانظر إلى التشابه العجيب بين هذا الدعاء وبين الكلمات التي تلقاها نبيُّ الله "آدمُ " (عليه السلام) من ربه فتابَ عليه؛ ...

فقد جاءَ في بعضِ الروايات عنْ ابن أبي نجيح عن مُجاهد أنَّ منْ هذهِ الكلمات التي دعا بها "آدمُ "(عليه السلام) ربَّهُ: "اللّٰهُمَّ لا إلٰه إلا أنت سُبحانك وبحمدك، ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي إنكَ خيرُ الغافرين.. اللّٰهُمَّ لا إلٰه إلا أنت سُبحانك وبحمدك، ربِّ إني ظلمتُ نفسي فارحمني إنك خيرُ الراحمين.. اللّٰهُمَّ لا إلٰه إلا أنت سُبحانك وبحمدك، ربِّ إني ظلمتُ نفسي فتُبْ عليَّ إنكَ أنتَ التوَّابُ الرحيم".

وهذا هوَ السرُّ الثالث من أسرارِ اسمِ اللهِ الأعظمِ في دُعاءِ " يُونس" (عليه السلام).

وحملَةُ العرش ومنْ حولَه معَ إيمانهم بربهم العليِّ العظِيم يُسبحونَ بحمدِه، ويستغفرونَ للمؤمنين باسمِه الرحيم العليم الذي وسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً ويدعونهُ باسمه العزيز الحكيم أنْ يُدخلهم الجنَّة.

وهذا هوَ السرُّ الرابعُ من أسرارِ اسمِ اللهِ الأعظم...

في مُناداةِ " ذي النون" – عليه السلام – ربَّهُ في الظُّلُمَات.

وإنك كلما اكتشفت سرَّاً قادكَ إلى سرٍّ جديدٍ إلى ما لا نهاية وبشكلٍ مُستمر؛ فهو اسمٌ أعظمُ من القدرة على إحصاءِ أسرارِه..

وهذه الأسرارُ لم ولن يُحصيَهَا إلا صاحبُ الاسمِ سُبحانَهُ وتعالى.

فما هوَ هذا الاسمُ المخفيُّ المكنونُ الذي يبحثُ عنهُ كلُّ منْ سبْحَل؟!

أيكون هوَ (السُّبْحان)

أيكون (السُّبْحَان) هوَ اسم الله الأعظم الذي تتجلَّى فيه كل الأسماء الحُسنَى للهِ سُبحانَه؟ وعلى رأسها لفظُ الجَلَالةِ (اللهُ) ذاته؟!

لإنْ كانَ هوَ اسمه الأعظم، فأنا أدعوه بهِ أنْ يجعلني منَ الناظرين إلى وجهه الكريم في رفقةِ خاتَمِ الأنبياء (صلى اللهُ عليهِ وسلَّم) في فردوسِهِ الجميل.

(21)

سُبحانَ منْ حمى بيتهُ الحرامَ منْ أصحابِ الفيلِ بحجارةٍ منْ سجِّيل...
مَا بالُ قلوبِ الكافرينَ قد قَست، حتَّى غدَت كالحجارةِ أو أشدّ قسوة؟! أو لا يرون الحجارةَ المتباينةَ في قسوتها قد لانت بتسبيحِ ربها، وأنَّ من هذه القسوةِ تفجَّرتِ الأنهارُ وخرجَ الماءُ ووقعَ التردِّي منْ أعلى الجبالِ خشيةً للهِ وانقياداً لأمرِه؟
فما بالُ هذه القلوبِ منْ لحمٍ ودمٍ قد قسَت فلا يصلُ إليها النور!
صَنعَ الإنسانُ الأولُ منْ الحجارةِ أدواتهُ منَ الحجرِ والعَظمِ ليستخدمها في الحربِ والسلم، ولكنَّ الكافرينَ لم يستطيعوا أنْ يشُقُّوا في قلوبهم منافذاً لعبورِ الهُدَى أو بذرِ اليقين، بلْ جعلهم كفرُهُم يصنعونَ منَ الحجارَةِ أصناماً وتماثيلَ يعبدونها منْ دونِ الله!
وكما أنَّ الحجرَ المُسخَّرَ لهم بريءٌ منْ هذا الشِّرك، فكذلكَ هي أجسامُهم بريئةٌ منْ كُفرهم وشاهدةٌ عليهم مثل الحجرِ تماماً.
الحَجَرُ يتفاعلُ معَ أشعةِ الشمسِ ومياهِ البحور فتتغيَّرُ طبيعتُهُ ليزدادَ نَفَاسَةً ويغدو قيِّماً ويُنعَتُ بالكريم، وقد تعالجه الحرارةُ العاليةُ في جوفِ الأرضِ لتقذفهُ البراكينُ خلقاً آخرَ منَ النقاء.

فما بالُ المُشركِين بربهم يصمُّون آذانَهم عنِ السماع، ولا تتأثَّرُ قلوبُهُم بأمواجِ بحرِ التذكيرِ باللهِ، وبراكينِ العِظَةِ في إنذارِ الأنبياءِ والدُّعاةِ، وأشعةِ الآياتِ ذاتِ الجمَالِ والجَلال! ولكنها غشاوةُ الإعراضِ عنِ النور.

وما بالُ المُنافقين قد صنعوا منْ مادةِ قلوبهم الأقسَى منَ الحَجَرِ سُوراً حولَ صُدورِهم المُظلِمَة، فإذا له بابٌ أغلقوه عن الحقِّ في دارِ الدنيا، فعجزوا عن فتحِه يومَ القيامة لاقتباسِ بعضٍ منْ أنوارِ المؤمنين!

حتَّى الحجارةُ تُسبِّحُ ربَّها وتسلِّمُ على أنبيائه.

فما بالُ قومٍ غفلُوا عن ذكرِ ربهم، وتعرَّضُوا لأنبيائِهِ بالأذَى والقتل.

اللهُ يُخرِجُ آيةً بعد آية، كما أخرجَ ناقةَ "صالحٍ" (عليه السَّلام) منْ صخرةٍ في جبل.

ولكنَّ المؤمنَ الحقَّ منْ يَرى ربَّهُ في الآيةِ الأولى ولا يحتاجُ أبداً لناقةٍ تخرجُ منها.

والآن فلا تقل أبداً – إنْ كانَ لكَ اعتقادٌ في الحَجَر – أنهُ سينفَعُك.

بلْ قلْ: "سيَنفعُنِي ربُّ الحَجَر".. وعندئذٍ سينفعكَ الحجر.

طاعةُ اللهِ وتسبيحُهُ هما سرُّ الخُلُود، وفيهما شَبابُكَ الدائمُ الذي تبحثُ عنهُ.. فلا تُجهد نفسكَ في البحثِ عن حجرِ الفلاسفة.

(22)

انشغلَ كثيرٌ منَ الناس بجمعِ المالِ وبناءِ الدُّور، وحيازةِ الأرضِ، وتنافسوا على دُنياهم كما فعلَ من قبلهم.

ولكنهم – جميعاً - سوفَ يعلمونَ يقيناً ساعةَ الاحتضار أنَّ الباقيات الصالحَات تكمنُ في هذِه الكلمات: "سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، واللهُ أكبر، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله"...

فهنيئاً لمنْ عمِلَ بهنَّ، وجرَينَ على لسانِه...

فغدَا رطْبَاً منْ ذكرِ الرحمن.

(23)

قُمتُ بتسبيحِ الله، وقُمتم وقُمنا..

فأحمدُ اللهَ ربَّ العالمين على ما ألهمَ وأعطَى فهوَ صاحبُ المنَّة.

وأُصلِّي وأُسلِّمُ علَى منْ صلَّى اللهُ عليه قبلَ أنْ تُصلِّيَ عليهِ ملائكتُهُ ورسلُهُ والخلْقُ منَ البشر..

حبيبِ الأحباب..

ومنْ نزلَ الأمرُ بالصلاةِ عليه في سورةِ الأحزاب..

كثيرٌ هم الذين يصلُّون على المُصطفَى ولكنَّ القليلَ منهم منْ يعلمُ أو يتذكَّرُ أنَّ الأمرَ بها آيةٌ في سورةِ الأحزاب!

فلعلَّ مسبِّحينَ جُدُدَاً للهِ يُصلونَ عليه تحت رايةٍ واحدة..

وقد نصرهمُ اللهُ على عدوِّه وعدوِّهِم.

سُبحانكَ اللّٰهُمَّ.. آمين.

كتبَ القلمُ ما تحرَّكت به اليدُ اليُمنى بإذنِ الله الذي شاءَ قبل أنْ تكون.

إنَّ صاحبها يشتاقُ لمن خلقَها وحرَّكها وأمرُهُ بينَ الكافِ والنون.

أما اليدُ اليُسرى فليسَ لها ظِلٌّ؛ لأنها لا تكتبُ مثل أُختها..

وإنْ كتبت فظلُّها غيرُ منتظم.

أنا أكتبُ في داخِلي قبلَ أنْ أكتبَ فوقَ السطور...

ولِي أحلامٌ كثيرَة.
آخرُ كلمةٍ في النص هي أصغرُ جُزءٍ منه وتفسيرُ هذا أنها أكبر جُزء فيه.
ما زلتُ أُحبُّ أنْ أكتبَ رغم أنَّ الكتابةَ لا تنتهي بانتهاء النص.
حتى آخرُ النصِّ لا يحملُ نهايةَ المعنى بموتِ صاحبِ اليدِ اليُمنى ولا يُسراهُ الشاهدةِ كالمرآةِ على عكسِ ظلِّ النص.
أنا صاحبُ اليدِ اليُمنى...
ولكنِّي لستُ صاحبَها في الحقيقة.
حتى هؤلاءِ الذين يكتبون باليُسرَى أو بكلتا اليدينِ ليسوا بأصحابٍ لهذه الأعضاء البسيطةِ متفرعةِ الأصابعِ مُتميِّزَةِ البصمة.
أنا لا أستطيع أنْ أكتبَ كل ما أريد..
كما أني لا أستطيع أنْ أكتبَ حسناتي أو أُسجِّلَ شيئاً من ذُنوبي.
ولا أعرفُ كيفَ أُحصيها أو أملكُ تحديد المقبول أو المغفور منها..
إنْ كانَ هناك من ذلك شيءٌ قد قُبِل أو شيءُ قد غُفِر.
ولكنِّي أُحسنُ الظنَّ بالله وأعلمُ أنَّهُ كريمٌ...
وأنَّ نجاتِي مرهونةٌ برحمتِهِ لا بعملِي.
أنا صاحبُ النصِّ والنصُّ عملِي المكتوب.
أنا صاحبُ النصِّ ولستُ صاحبَهُ في الحقيقة
حتى هؤلاء الذين يكتبون نُصوصَهم...
ليسوا بأصحابٍ لهذه الأشكال.

فما الذي أملكُهُ، وما الذي أختارُه وأنا المُخيّرُ والمُسيَّرُ معاً؟!
لقد اخترتُ النصَّ واخترتُ موضِعَه...
واخترت أوَّلَهُ، ثمَّ فكَّرتُ في خاتمةٍ تُناسبُ متنَهُ ومعناه.
ولكن من الذي شاءَ قبلَ مشيئتي ودُونَهُ ما كنتُ لأشاء؟؟
إنه اللهُ الحيُّ القيوم مُدبِّرُ أمري ومُبدِعُ عقلِي..
والذي لولاهُ ما كنتُ شيئاً.
وأنا صاحبُ النصِّ لأنهُ علَّمني البيان.
وأنا في عِلْمِه...
وما علمتُه لا يُمثِّلُ شيئاً في بحرِ العلمِ الإلهي..
{(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)} ...
وإنْ قلتُ كنقطةٍ منه فقد بالغتُ كثيراً وجاوزتُ الحد..
وأنا في قَدَرِه مجرَّد عبد.
وما أُلهمتُه لا يُمثِّلُ إلا قطرةً في بحرِ حكمتِه هوَ الذي شاءَها.
والقطرةُ هُنا مجازٌ لتقريبِ العدَمِ منَ الوجودِ الحَق.
وبهذه القرابة..
أصبحَ للعدمِ وجُوداً.
فسُبحانَ ربِّيَ الودود...
سُبحانَه.

أدب فلسفي ديني
فلسَفَةُ التسبيح
محمود مُصطَفَى الأحول
الطبعة الأولى
1446 هـ 2024 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.